
فن القراءة
عز الدين فراج

فن القراءة

تأليف

عز الدين فراج

الكتاب: فن القراءة

الكاتب: عز الدين فراج

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
APA
http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

فراج ، عز الدين
فن القراءة / عز الدين فراج
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٠٣ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ١ – ١٠٢ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٥٧ / ٢٠٢١

فن القراءة



الفصل الأول

لماذا نقرأ ؟

القراءة سياحة العقل بين آثار الفكر البشري.. القراءة قرابة ذهنية وصداقة فكرية.. القراءة تزيل الفواصل الزمنية والفوارق الاجتماعية والحدود الجغرافية.. القراءة طريق السلام والتفاهم الدولي.. القراءة تنظيم للبحث العلمي وتوجيه للإنتاج الفني .. لماذا نقرأ القصص؟

لماذا نقرأ التاريخ؟ .. لماذا نقرأ الفلسفة؟

لماذا نقرأ الشعر؟

لماذا نقرأ؟

- نقرأ لأن في القراءة متعة للنفس وغذاء للروح.
- نقرأ لأن في القراءة قرابة ذهنية وصداقة فكرية.
- نقرأ لأن في القراءة حماية ولو وقتية من الأزمات النفسية، وما يتبعها من تدهور روحي ونزوع إلى الشر.
- نقرأ لأن في القراءة إزالة للفوارق الزمنية والمكانية، فنعيش في أعمار الناس جميعاً.

- نقرأ لأن في القراءة ينابيع صافية لخبرة كل مجرب يقظ، تفيض بالهدى والنصح والتوجيه.
- نقرأ لأن القراءة تنقلنا من عالم ضيق محدود الأفق، إلى عالم آخر أوسع أفقاً.
- نقرأ لأن القراءة سياحة الفكر البشري بين رياض الحاضر وأطلال الماضي.
- نقرأ لأن القراءة تنظم البحث العلمي وتوجه الإنتاج الفني.
- نقرأ لأن القراءة تعالج عيوبنا الذهنية وتحل مشاكلنا النفسية.

نقرأ لأن القراءة سياحة العقل بين آثار الفكر البشري تنقلك تارة إلى رياض فواحة العبير من أشعار غنائية وملاحم شعرية وصور عاطفية، وتنقلك تارة أخرى إلى أطلال الحضارات القديمة، بين صفحات التاريخ والحافل بالحكمة والعبر والعظات التي مرت بها النفس البشرية في مختلف العصور.

وكثيراً ما تنقلك القراءة إلى معترك الحياة فترى سير العظماء والقادة الراحلين، وما تخللها من دموع وطموع وحب وانتقام وعزم وإرادة. كل هذه الرياض والآثار والأطلال تمر عليها في سياحتك الفكرية بعد أن يكسوها النظم والنثر ثوباً جميلاً قشيباً.

ولعل هذا هو الذي دفع "وليم جيمس" الفيلسوف الأمريكي المعروف أن يجيب على سؤال ولده القائل "ماذا أقول للناس عندما يسألونني من عملك يا أبتاه؟" فأجابه هذا الوالد الفيلسوف:

إنني يا بني دائم السفر والتجوال لألقى الفلاسفة والأدباء والمفكرين، من كل عنصر وجنس ودين، غير عابئ بحدود جغرافية ولا فترات زمنية، فإنا أصغي بواسطة الكتب للأموات القدامى كما أصغي للأحياء الذين تفصلني عنهم مسافات شاسعة.

ونقرأ لأن القراءة تخلق بيننا وبين الكتاب صداقة فكرية ممتعة. إننا لا نستطيع أن نخلق بيننا وبينهم صداقة على النحو المألوف. هذه حقيقة لا تقبل الجدل، فهناك أسباب وعوامل اجتماعية تحول دون تحقيق ذلك، بجانب ضيق الوقت وبعد المكان، ولكن في مقدور القراءة أن تخلق بيننا وبين الكاتب صداقة روحية، نحسن بوجودها، ونشعر بكيانها، متى صادفت أفكار الكاتب وخواطره هوى في نفوسنا.

وهذا النوع من الصداقة يأخذ طابعاً خاصاً به، فالقارئ لا يستمتع من صديقه المؤلف أو الكاتب إلا بأحسن وأجمل وأظرف ما عنده من أفكار وصور. لأن الكاتب لا يكتب إلا ما فيه فائدة أو هداية أو توجيه أو ترفية، ويتجنب على الدوام كل فكرة قلقة في سماء الحقيقة أو حائرة في بيدائها، في حين أننا في صداقاتنا العادية مكلفون، ولا حيلة لنا في ذلك، أن نسمع من أصدقائنا الذين نعيش معهم

الطريف والسخيف والجميل والقبيح من أفكاره وتخيلاته دون استثناء. فكأن نوع الصداقة التي تخلقها القراءة، هي في حقيقة الأمر أثمن قيمة من صداقتنا العادية، خصوصاً في عصرنا المادي الذي يقوم على معايير مادية أساسها تبادل المنفعة، فمتى اختل ميزان الأخذ والعطاء تصدعت معه الصداقات. وقلما نجد في عصرنا من يمنح صديقه عطفه وبره وجهده وماله، بلا مقابل في القدر والنوع، في حين أن الكتاب بصداقته يفيض كل ما عنده من خير ونفع وهداية ونصح من غير أن يطلب عن ذلك مقابلاً، فهو يعطي ولا يأخذ، يفيد ولا يستفيد، ومع كل هذا لا يفشي سراً ولا يبدي نميمة. وفي هذا يقول الشاعر العربي:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب   تلهو به إن خانك الأحباب

لا مفشياً سراً إذا استودعته   وتنال منه حكمة وصواب

والقراء لا تعترف بالفواصل الزمنية والفوارق الاجتماعية والحدود الجغرافية، فيستطيع القارئ أن يعيش في كل العصور وفي كل الممالك والأقطار، فسيرة العظماء وأعمالهم التي استغرقت في أماكن نائية الأعوام الطوال يمكن استعراضها في كتاب ما في ساعات معدودات، وكأننا نعيش في هذه الأماكن النائية بين أهلها وربوعها، وكأن هذه الأعوام الطوال قد أضحت لحظات قصيرة من لحظات حياتنا.

ونقرأ تاريخ الشعوب بما فيه من سلم وحرب ومجد وتدهور، فإذا بأرواحنا تندمج في هذا العصر ولو لوقت قصير، وكأننا لهذا السلم

وهذه الحرب معاصرون، وكأننا في هذا المجد وهذا التدهور مساهمون.

نقرأ وصف الرحلات في مختلف أجزاء المعمورة فيحملنا الكاتب إلى قمم الجبال، ثم ينزل بنا إلى أعمق الوديان، ويسير بنا بين المروج الخضراء ثم ينتقل فجأة إلى الصحاري الجدباء، وكأننا في معيته لا يمنعنا طول الزمان ولا يحول بيننا بعد المكان.

كلنا يدرك أنه ليس في مقدور الفرد منا أن يعيش في أعمار الناس جميعاً، ولكن بالقراءة يستطيع أن يزيل وحده الزمان والمكان؛ فيستطيع في عمر واحد أن يشعر بما شعر به السابقون، وأن يختبر ما اختبره المعاصرون. فكأننا بالقراءة نستطيع أن نحلق فوق رياض الحاضر وبيداء الماضي، غير حاسبين حساباً لتعاقب الليل والنهار ولدقات السنون والقرون ولقيام القلاع والحصون.

والقراءة تسمح للكاتب أن يتحدث في كل الأوقات إلى كل الطبقات والهيئات دون استثناء، فيزول بذلك كثير من الفوارق الفكرية بين طبقات المجتمع، وهذا من شأنه أن يخلق حالة من القرابة الفكرية والذهنية. ومتى وجدت هذه القرابة الفكرية والذهنية وجد التجانس الاجتماعي بين طبقات المجتمع. وبقدر ما عليه المجتمع من قرابة ذهنية وتجانس اجتماعي، بقدر ما تكون حاله من التوازن والتضامن والترابط الاجتماعي، وهذه أساس كل استقرار في حياة الشعوب.

نقرأ لأن القراءة تنقلنا من عالمنا الضيق إلى عالم أوسع أفقاً. ولهذا عندما سئل "الفرد زيمرمان" عن أهم العقبات التي تحول دون الوصول إلى سلام عالمي دائم أجاب قائلاً: إن العقبة التي تحول دون الوصول إلى السلام الدائم المنشود هي الرجل الضيق الأفق.

والقراءة من أهم الوسائل الفعالة التي تعالج ضيق الأفق، إذ تجعل من الرجل المحدود التفكير رجلاً واسع الأفق بعيد النظر وكثيراً ما تفشل المعاهدات ويتبدد التفاهم الدولي بسبب ضيق الأفق عند بعض القادة ورجال الحرب والسياسة. وما يقال عن التفاهم الدولي يقال عن التفاهم بين الأفراد والجماعات. فكلاهما في حاجة إلى عقول طليقة، تحلق في آفاق واسعة غير محدودة. وهذا لن يتسنى إلا بالقراءة.

ونحن في معترك جهادنا وميادين نشاطنا، نحتاج إلى مشورة المجربين ونصح الناصحين لنستلهم منها الوحي والإلهام والسداد والتشجيع، ولكن ليس في مقدور كل فرد أن يجد من يركن إليه في مشورته، فالأمر يتوقف على محيطنا الذي نعيش فيه، ومدى الكفايات والمواهب التي تلمع في آفاقه. فبقدر تعدد الثقافات والشخصيات في المحيط الواحد، بقدر ما تكون المشورة ميسورة سهلة. أما أفراد البيئات التي غابت فيها عناصر الخبرة والمعرفة أو قلت، لا تجد لها منفذاً إلا بين سطور الكتب، فتنقاد إليها في شوق ولهفة، وكثيراً ما تجد عندها ضالتها المنشودة.

وإن كانت القراءة لا تخلق منا أبطالاً وقديسين إلا أنها تؤثر فينا تأثيراً حسناً، فتحمينا ولو لوقت قصير من كل تدهور نفسي، ينبعث من انفعالاتنا العصيبة وأزماتنا النفسية. فرياضة النفس في مروج الفكر والحكمة، تجعلنا أكثر استجابة لنداء الخير وهمسات الحق والصواب، بينما ترك النفوس تتخبط في أزماتها من غير وحي أو إلهام أو توجيه، يعرضها للقلق والتمرد والتمرغ في الوحل، وعندئذ تكون أكثر قبولاً وخضوعاً للدوافع الهدامة والأفكار الفاسدة.

ويروى عن معاوية بن أبي سفيان أنه لما رأى بوادر الهزيمة يوم صفين عزم على الفرار، فما رده عن هذا الطريق الشائن. سوى تذكره بضع أبيات شعرية قرأها في يوم سابق ومطلعها:

أبـــت لي همـــتي وأبى بلائـــي وأخـــذي الحمـــد بالـــثمن الـــربيح

والقراءة توجه البحث العلمي وتربط الباحثين في شتى أنحاء المعمورة برباط قوي، وبذلك يسير موكب العلم والمعرفة نحو أهدافه السامية التي يبغيها بخطوات سريعة موفقة. فكثيراً ما يجد المشتغلين بالعلوم أن بعض نواحيها مازالت بعيدة عن مواطن اليقين، تائهة في بيداء الغموض فيعملون على اجتلاء أمرها وتنقيتها من شوائب الوهم والتخمين.

وقد يضيع الباحث ربيع حياته، ويقضي الأعوام والأيام باحثاً منقباً حتى يصل إلى غايته بعد جهد وعناء. وبعد أن ينتهي من بحثه

ويعلن نتائج جهوده، نرى عالماً ثانياً في بلد آخر يبدأ بحث نفس الموضوع، ويسير في نفس الطريق، ويصل في النهاية إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الأول. ولو كان هذا الباحث الأخير على علم بما وصل إليه الباحث الأول من نتائج لأراح نفسه وكسب وقته.

وهنا نتساءل : كيف يكون الثاني على علم بما وصل إليه الأول؟ لا سبيل إلى ذلك إلا بالقراءة المتصلة، فبها يستطيع كل باحث تعقب اتجاهات البحث العلمي في جميع أجزاء المعمورة، فيتجنب ما سبق بحثه، ليوجه جهده ونشاطه إلى آفاق جديدة لم يغزها الفكر البشري، وبذلك يضيف إلى موكب العلم عناصر جديدة، وكنوزاً نافعة. أما أن يتخبط المفكرون في بحوثهم لعدم إلمامهم بكل ما وصلت إليه حركة البحث والتأليف فهو مضيعة للزمن، وتشتيت للجهود، وتعطيل لموكب الحضارات.

وحل المعضلات العلمية والفنية أمر يحتاج في كثير من الأحيان إلى عدة بحوث متعاقبة، ما ينتهي الأول إلا ليبدأ الثاني، وما ينتهي الثاني إلا ليبدأ الثالث. وبذلك تجد البشرية نفسها أمام نتائج تطبيقية فعالة عظيمة.

قد لا يستطيع عالم واحد خلال حياته كلها أن يتم كل هذه البحوث المتعاقبة، ولكن تستطيع الأجيال من بعده عن طريق القراءة، أن تبدأ من حيث انتهى العالم الراحل. وبذلك يسير موكب البحث في

طريقه من غير توقف أو انقطاع.

لماذا نقرأ القصص؟

نقرأ القصص لإشباع غرائزنا الفطرية الكامنة، ولأننا نجد فيها عوضاً عن النقص الذي نشعر به في حياتنا الواقعية، بسبب اصطدام أحلامنا وآمالنا بصخرة الواقع المؤلم.

كان الإنسان في عهده البدائي مطواعاً لغرائزه الفطرية، فراح يشبعها بمختلف الوسائل من قتال وصيد ونهب وتمرد. ولكنه بعد أن تحضر وعاش في أمن ودعة وجد من الألعاب الرياضية كالمصارعة والملاكمة ما يشبع غريزة القتال، ووجد في ركوب البحر والسماء ما يشبع غريزة المخاطرة وحب الاستطلاع.

بهذا كمنت هذه الغرائز في أعماق نفسه وأخذت صوراً مصقولة مهذبة، ولكن مع هذا مازالت في حاجة إلى إشباع. ولو بقدر قليل ولعل هذا هو السبب الذي من أجله نشعر بلذة من قراءة بعض القصص.

ونقرأ القصص لأنها تعوض النقص الذي نشعر به في الحياة الواقعية الناشئ عن عدم تحقيق الأمان والأحلام، فتلجأ إلى قراءة القصص لتعوض بخيالها ما عجز الواقع عن تحقيقه. وهذا هو السبب الذي يدفع القصصي إلى أن يخوض في أغلب الأحيان موضوعات

الحب والبطولة والمخاطرة لأنه يستطيع بهذه الأوتار أن يسمع القارئ ألحاناً عذبة محبوبة إلى نفسه. فهناك كثير من النساء والرجال لا يجدون في حياتهم الواقعية صور الحب المثالية التي كانوا يتخيلونها ويتحرقون شوقاً إليها، وحرموا من تحقيقها في حياتهم الزوجية أو الغرامية. فالفتاة في مقتبل عمرها رسمت في ذهنها صوراً لفتى أحلامها ولنوع الحب الذي ترتاح إليه، فإذا ما جاءت الحياة قاسية، وفشلت في تحقيق هذه الأحلام لجأت إلى قراءة القصص لتحققها في دنيا التصور والخيال، بعد أن تحطمت هذه الأماني والأحلام على صخور اليأس، وبعد أن ألقتها أمواج القدر على شاطئ الحقيقة المرة السافرة.

ولقد أدرك "توماس هاردي" هذه الحقيقة فكتب عدة قصص قامت على هذه الفكرة النفسية، فكانت تدور كلها حول امرأة جاوزت سن الأربعين، أغرم بها شاب جميل الطلعة جريء مغامر شاعري الروح. فلم تكد تظهر هذه القصص حتى نالت إعجاب السيدات اللاتي في سن الأربعين أو تجاوزته، إذ وجدن في مروج الخيال ما يعزيهن عن الحياة الواقعية الثقيلة المملة.

ولهذا يرى علماء النفس أن قراءة القصص تعيننا على فهم أنفسنا ومن حولنا، فميل إنسان إلى نوع معين من القصص وتهافته على مطالعته دليل على ميله إلى ما تصوره هذه القصص من صور وأفكار ومشاعر، وكذلك دليل على أنه له رغبات مكبوتة تماثل تلك الرغبات

والأماني التي تأتي على لسان أبطال هذه القصص.

لماذا نقرأ التاريخ؟

التاريخ بمجموعة تجارب العصور الماضية وسجل لكفاح الإنسان في سبيل حقوقه، ومعرض أحلامه الخائبة، وآماله المحطمة وأمجاده العظيمة.

ومهما أوتي الإنسان من دقة الفهم وسعة العلم، فهو بحاجة إلى تجارب التاريخ توسع أفاقة و تزيد إدراكه.

نقرأ التاريخ لنتتبع التغييرات التي خضعت لها النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، منذ أول نشأها إلى الوقت الحاضر، ومدى تطوراتها ومدى ملائمة هذه التطورات لكل العصور التي مرت بها.

ومن غير أن نستعين بدراسة التاريخ يتعذر علينا أن نحكم حكماً عادلاً على النظم السياسية والاجتماعية القائمة من حولنا كما يتعذر علينا أن نعرف هل هي سائرة في سيبل التقدم أم متقهقرة إلى حضيض الفساد، وهل هي قائمة على نفس الأسباب التي حملت الجماعات على تأسيسها أم أخذت تفقد من سلطانها شيئاً فشيئاً بزوال الأسباب التي دعت إلى تكوينها.

ونقرأ التاريخ لأن التاريخ يزودنا بمقومات نتخذها أساساً للتأمل والموازنة. وهو بتوجيه البحاث إلى كثير من دقائق الحياة الإنسانية

يساعدنا على تفهم حقائق الأشياء المحيطة بنا، وعلى إدراك أوجه الخطأ فيها، ويوجهنا إلى الناحية التي نأمل منها النفع والسلام.

ولا يقتصر أثره على حل بعض من مشاكلنا الحاضرة، بل يساعدنا – بوجه عام – على تكوين فكرة عامة نعرف بها حال تلك المشاكل في المستقبل.

والتاريخ كما يصفه "هيرتشو" مدرسة السياسيين، ولا معنى لاهتمام الفرد بالسياسة إذا لم يكن ملماً بالتاريخ. وهو دراسة مثمرة لكل الأفراد ولكنه الدراسة الكبرى لأهل التشريع والحكم، وهو خزانة السوابق السياسية، إذ أن المشكلات التي تواجه الجيل الحاضر ترجع إلى أصول تاريخية، بحيث إذا أريد حلها فلابد من استعراض الماضي بتفاصيله وسوابقه وكافة نواحيه".

فالتاريخ إذن هو المنظار الذي يصور لنا طريق الحياة في العصر الذي نعيش فيه، ويكشف لنا عن وجهة المستقبل الذي ننتظره لأنفسنا ولأكبادنا من بعدنا. وهو المقياس الذي يعيننا على أن نفرق بين العناصر الأولية الصحيحة للحياة، وبين مظاهرها الطارئة الزائفة الزائلة. وهذا ما دعا "فون سيبل" السياسي الألماني إلى أن يقول: "كثيرون من رجال السياسة والقائمين على مصالح الشعوب يخطئون أكبر الأخطاء، ويدفعون بأنفسهم وشعوبهم إلى الهاوية والحضيض، لعدم خبرتهم الخبرة الكافية بالماضي وأحداثه السياسية، فيعجزهم ذلك

عن أن يجدوا العظة والعبرة والصواب فيما يرسمون من خطط لحاضرهم ومستقبلهم"

ويستطرد "فون سيبل" في حديثه فيقول: والذين يحطمون سفن آمالهم حيث طاحت آمال غيره من قبل، لا يلومون إلا أنفسهم .. فقد كان من الواجب عليهم نحو أنفسهم ونحو شعوبهم، أن يدرسوا تجارب من سبقوهم في معترك الحياة".

وهذا لن يتسنى إلا بقراءة التاريخ قديمه وحديثه.

لماذا نقرأ الشعر؟

نقرأ الشعر لأن الشعر في جوهره طريقة من طرق الحياة .. إنه سبيل من سبل الإدراك والفهم عن طريق الخيال والتصور وعن طريق المشاركة في الشعور بالعقل والروح والحواس.

نقرأ الشعر لأنه أكثر تحكماً من النثر في أعصابنا المرهفة الحساسة، ولأنه يسير بنا في مجرى الحياة بموسيقى ألفاظه ورقصات معانيه.

نقرأ الشعر لأنه يحرك فينا المشاعر السامية والعواطف النبيلة، ويطوف بنا في آفاق السحر والفتنة والجمال، وينقلنا من جحيمنا الأرضي إلى سماوات عامرة بالرحمة والإخاء والحب.

نقرأ الشعر لأنه يفتح أمامنا أبواب التأمل والتصور، فقد يذكر الشاعر في قصيدته النجوم المتلألئة وصفحة الماء اللامعة، فيقف القارئ لحظة سابحاً في بيداء التفكير والتأمل، إذا استطاع الشاعر بفقراته الموسيقية المنظومة وخياله الخصب أن يعيد إلى ذهن القارئ صوراً مماثلة جميلة، كانت قد طبعت من قبل في أعماق ذهنه وفي طيات صدره.

وقد يذكر الشاعر في قصيدته دموع اليتيم فتثير بذلك صوراً أخرى دفينة في أعماق نفسه، تمر متتابعة، فتصور له رحمة الآباء وحنان الأمهات وتصور ما يعانيه اليتيم من ذل وحرمان وتشريد. فكأن الشاعر بفقراته المنظومة قد فتح أمام القارئ نافذة يطل منها على بيداء الحياة، فيقف أمامها باحثاً مفكراً متأملاً.

لماذا تقرأ الفلسفة؟

تقرأ الفلسفة لما فيها من عمق الفكرة وبعد النظر.

تقرأ الفلسفة لما فيها من تحليل صادق لكل ما يتصل بعالمنا المحسوس وغير المحسوس.

تقرأ الفلسفة لأنها تستطيع أن تربط كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة بالحياة ذاتها .. ومثل ذلك مثل الذي يدرك موضع قريته بالنسبة لإقليمه، وإقليمه بالنسبة لمملكته، ومملكته بالنسبة للكون كله.

تقرأ الفلسفة لتعرف تاريخ الفكر الإنساني فهو أهم شيء في تاريخ البشرية كلها.

تقرأ الفلسفة بحثاً عن الحقيقة التي تصور لنا المجتمع بقواه المادية والروحية، والتي تصور لنا مدى خضوع هذه القوى لإرادة الإنسان وتفكيره. وكثيراً ما ترفه الحقيقة عن الناس في ساعة ألمهم وضيقهم، فهي ترجع آلامهم إلى أسبابها الحقيقة، وإلى قوى خفية لا سلطان لهم عليها، فيدرك الإنسان الغاضب أن في الكون قوى أكبر من قوته وإرادة أكبر من إرادته.

وأنا بينما أقول ذلك أرى الأمثلة تتوارد على خاطري. وأشهر هذه الأمثلة قصة الفليسوف سقراط الذي حكمت عليه أثينا بالإعدام. ومع ذلك قضى الساعات الأخيرة من حياته يجادل أصدقاءه في أمر الروح وخلودها. وبذلك أظهر سقراط كيف أن معرفة الحقيقة يساعد المرء على مواجهة الصعاب من غير اضطراب أو ذعر أو ألم.



الفصل الثاني

ماذا نقرأ ؟

ماذا يقرأ الطفل؟ ماذا يقرأ الشباب؟ ماذا تقرأ الخاصة؟ماذا تقرأ العامة؟ ماذا تقرأ المرأة؟

ماذا يقرأ الطفل؟

من أظهر عيوبنا في توجيه الأطفال وتربيتهم أننا مازلنا نحاول أن نضع مناهجهم وكتبهم في قالب معين لنشكلهم بشكل معين ونخرجهم إخراجاً يتبع رغباتنا وإرادتنا، دون اهتمام باستعداداتهم الشخصية ومراحل نموه العقلي. ولعل هذا هو الذي دعا بعض المدرسين في كتب الأطفال أن يخاطبوهم مخاطبة الرجال ويوجهوهم توجيه الرجال، وكأنهم يحاولون إنضاجهم ودفعهم إلى طور الرجولة دفعاً قبل الأوان، ناسين طبيعتهم الغضة، فيجد الطفل فرقاً شاسعاً بين طبيعته وطبيعة ما يدعونه إليه، فإذا به للكتب كاره ومن القراءة نافر.

ولكن لو كتبت كتبه بلغة بسيطة وأسلوب طريف، وفي موضوعات شائقة تتفق مع ذهنه ومراحل إدراكه لأحب القراءة وشغف بها إلى حد كبير.

ولكن لو كتبت كتبه بلغة بسيطة وأسلوب طريف، وفي موضوعات شائقة تتفق مع ذهنه ومراحل إدراكه لأحب القراءة وشغف بها إلى حد كبير.

ولكي ندرك ما يجب على الطفل أن يقرأ يجب أن نمر مراً سريعاً بمراحل نموه العقلي وإدراكه الذهني، حتى يتيسر لنا تقديم ما يلائمه في كل مرحلة على حدة.

يمر الطفل بثلاث مراحل متباينة الأوضاع، تستمد طابعها من تطورات الطفل المتعاقبة نحو النضوج الذهني، وتنحصر هذه المراحل الثلاث فيما يلي:

أولاً– مرحلة الحضانة.

ثانياً– مرحلة إدراك المحسوسات.

ثالثاً– مرحلة إدراك المحسوسات والمعنويات معاً.

ففي مرحلة الحضانة التي تنتهي عند الطفل بانتهاء الخامسة من عمره، لا يعرف شيئاً عن القراءة، إنما يستطيع أن يقرأ الوجوه فيحاكي ويقلد ما يراه من حركات وأعمال. ولا يكون بحاجة في هذه المرحلة إلى كتاب فهو لم يصل بعد إلى سن القراءة.

أما في مرحلة المحسوسات، وهي التي تبدأ من السادسة إلى التاسعة

أو العاشرة من العمر، يقدم للطفل موضوعات قصصية تزوده بذخيرة صالحة من المعلومات الثقافية، وتوقظ ميوله واستعداداته، وتدخل عليه السرور والبهجة في نفس الوقت.

والطفل في هذه المرحلة يميل إلى الأشياء والحوادث كما يريدها أن تكون، لا كما هي في الحياة الواقعية. يريد أن تكون الدجاجة أكبر حجماً من الجاموسة، وأن يكون بطل القصة أطول قامة من النخلة، وأن تكون البيوت من الذهب الخالص. وإن ذكرت له كلمة "دمية" في هذه المرحلة استطاع أن يتصورها كائناً حياً، يتحرك ويتكلم ويسمع ويجيب. وإن قلت له في قصة ما "قطة خشبية" أكسبها بخياله الحركة والجري، وقد يتسع الخيال فيقول لها "اذهبي واحضري لنا فأراً"

لهذا ينبغي أن نقدم للطفل في هذه المرحلة قصة تقوم على الخيال الواسع، حيث يتقمص هذا الخيال شيئاً محسوساً ملموساً لديه.

أما المعنويات فالطفل في هذه المرحلة لا يستطيع أن يفهمها إذ أن تجاربه النفسية غاية في القلة، لا تمكنه من فهم ما تحمله الألفاظ المعنوية كالشهامة والمجد والشرف والنزاهة من مختلف المعاني، لأنها نتيجة انفعالات واستجابات معينة للمجتمع لم يتعرض لها الطفل بعد.

ويحسن أن تكون القصة التي تقدمها للطفل في هذه المرحلة مقرونة بكثير من الرسوم والصور خصوصاً الملونة منها، لأن اجتماع

الصور مع الألفاظ يساعد على ربطهما معاً فتستقر الألفاظ بالذهن وتصبح ذخيرة كامنة فيه. وبهذه الوسيلة تستطيع القصة أن تزيد ذخيرة الطفل اللغوية.

أما في مرحلة المحسوسات والمعنويات، وهي التي تبدأ ما بين التاسعة والثالثة عشر، فيكون الطفل قد نما وعيه وإدراكه وأصبح يعرف الحدود الحقيقية لمقدرة المخلوقات الحية. لهذا يجب ألا نسبح في الخيال وألا نسرف فيه.

وفي هذه المرحلة أيضاً تكون معلومات الطفل الثقافية قد اتسعت بعض الشيء وذخيرته اللغوية قد نمت أيضاً حتى أنه ليستطيع أن يدرك مدلول بعض الألفاظ المعنوية، فقد مرت به بعض التجارب النفسية عن الحب والكره والقلق والطمأنينة والانتقام والتسامح.

ولكن ينبغي أن نحذر الإكثار من الانفعالات النفسية العميقة، فهما كان إدراكه للمعنويات، فإن خبرته من التجارب النفسية لم تزل في مراحلها الأولى.

لهذا يستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يهضم قصة تقوم على أساس الخلط بين المحسوسات والمعنويات، كما تقوم على أساس التعبير بالألفاظ والصور، بحيث يكون التعبير اللفظي هو الأساس، والتعبير بالصور هو المكمل لهذا الأساس. ومما ينبغي أن يحتل مكاناً ملحوظاً في

هذه المرحلة قصص الأبطال القدماء والمعاصرين.

وبوجه عام يجب ألا تكون القصة، التي هي عماد القراءة في هذه المرحلة، قد احتوت على مواقف مشينة أو غرائز شريرة، أو تكون قد صورت الشر في ثوب مقبول ووضعته موضع الفائز والمنتصر على الحق والخير.

وقد اتفق كثير من رجال التربية على أن يكون أول ما نختاره لصغارنا الأقاصيص التي تجمع بين سهولة التعبير وبراعة التصوير، والتي تمزج في نفس الوقت بين التسلية والفائدة على أن يكون عنصر التسلية فيها واضحاً، مع التدرج من العبارات السهلة إلى الصعبة، حتى يصبح في مقدورهم فهم مدلول الألفاظ في سهولة ويسر، واستيعاب الكتاب في ساعات بدلاً من أيام. ومتى بلغوا هذه الغاية خرجنا بهم من دنيا الكتب القائمة على التسلية الممزوجة بقليل من الفائدة، إلى دنيا الكتب القائمة على الثقافة والممزجة بقليل من التسلية.

ويشترط في القصة التي يطيب للمراهق قراءتها، أن تشمل حوادثها الكثير من أعمال البطولة والشجاعة والفروسية من جهة، والحب والغرام من جهة أخرى، والمثل العليا – من تضحية وولاء وإخلاص – من جهة ثالثة. ومن الغريب أن المراهق، برغم قربه من الطفولة المبكرة، يمقت قصص الأطفال سالفة الذكر، كما يمقت أن يعامل

معاملة الأطفال في حياته اليومية. وسبب ذلك أن التغيرات البيولوجية التي تطرأ على جسمه في هذه المرحلة من العمر، توحي إليه أن زمن الطفولة قد انقضى. وفي هذه المرحلة تتخلل تفكيره اتجاهات دينية روحية أخلاقية، والقصة التي تلقى منه قبولاً هي التي تجمع بين الحب والغرام، والفروسية والإقدام وخدمة الغير والمبادئ الروحية.

هل من الصواب أن يقرأ الصبي الصحف؟

أجاب ولتر بنكين على هذا السؤال في مجلة "بارنتس مجازين" قائلاً: لا يجوز منع الأبناء من قراءة الصحف حتى لا يسيئوا بها الظن فيصوروا أن ما بها من المقالات يسيء الآداب. وقد يسبح بهم الخيال إلى شاطئ الوهم والتصور، ولذا كان من الضروري إباحة قراءة الصحف اليومية والأسبوعية لأولادهم.

وقد يتساءل البعض ماذا نفعل بالمقالات والتعليقات الخاصة بالحب والإجرام والانتحار؟ هل تمنع الأولاد من قراءتها ونحظر عليهم الخوض فيها؟

لاشك أنه ليس من الممكن محو تلك المقالات والأخبار ولكن يجدر بالوالدين ألا ينهوهم عن مطالعتها، لأنه متى عمدوا إلى ذلك إنما يزيدون الطين بله، وكأنهم يحرضونهم عن مطالعتها خفية والتمعن في كلياتها وجزئياتها فالسكوت في هذه الحال أفضل علاج.

ولكن إذا سأل الصبي أباه عن بعض التفصيلات والجزئيات نخير له ألا يحجم عن الجواب بلباقة لئلا يؤول إحجامه تأويلاً سيئاً مؤذياً، بل يجب أن يشرح في حالة سؤال الابن هذه التفصيلات مفنداً ما بها من عيوب وأضرار.

ومشكلة مطالعة الأولاد للصحف تكون على أشدها عندما يبلغ الولد سن الثالثة عشر. والوالد الحكيم هو من راقب ولده عند مطالعة صحفه ليرى ما الذي يطالعه فيها فيسهب الوالد في شرح ما يفيده ويقتضب شرح ما لا يفيد. ويستطيع الأب بحكمته أن يوجه إلى قراءة موضوعات الطيران مثلاً فمثل هذه الموضوعات شائقة، فضلاً عن أنها تقوي روح الشجاعة والإقدام.

ومن الحكمة تعويد الصغار على جمع قصاصات الصحف وترتيبها وتبويبها والاحتفاظ بها للعودة إليها عند الحاجة، خصوصاً القصاصات التي تحتوي على إحصاءات مفيدة وحكم بالغة وحقائق تاريخية طريفة صادرة عن أهل علم وخبرة.

والولد العاقل يجب أن يعلم أن مثل هذه القصاصات ما هي إلا ذخائر علمية لا تقل فائدتها في كثير من الأحيان عما في طيات الكتب المدرسية.

ماذا يقرأ الشباب؟

يميل الشباب إلى قراءة القصص العاطفية والقصص البوليسية فالأولى تحلق به في سماء العاطفة وتطير به إلى دنيا الخيال، وتصور له الحياة بصور حلوة براقة لا متاعب فيها ولا قسوة، وإن وجدت مثل هذه المتاعب خلال تتابع حوادث هذه القصص فسرعان ما يذللها الكاتب القصصي في سهولة ويسر، بينما هي في الحياة الواقعية أكثر تعقيداً وأصعب حلاً. ولهذا كان اندفاع الشباب إلى هذه القصص وحدها يبعده عن الحياة الواقعية بعض الشيء لأنها تترك في ذهنه صورة يصعب وجودها وتحقيقها في معترك الحياة فيصبح في النهاية فريسة لأوهام باطلة.

لا أنكر وجود قصص في مكتبتنا العربية تصور الحياة الواقعية تصويراً حقيقياً دقيقاً كاملاً، ولكنها قليلة إذا قيست بآلاف القصص العاطفية التي تخرجها المطابع كل عام، خصوصاً وأن قدراً كبيراً من هذه القصص يصور حياة غربية تختلف ألوانها وظلالها وخصائصها ودقائقها عن حياتنا الشرقية التي نحياها.

لست أهدف من وراء ذلك أن يحجم الشباب عن قراءة القصص العاطفية، فإن في ذلك مجافاة للطبيعة البشرية، أما الذي أرجوه من الشباب هو ألا يجعل قراءته قاصرة على هذا اللون العاطفي، بل عليه أن يمزجه بقراءة كتب اجتماعية وفلسفية ونفسية. ففي هذا المزج اتزان

لفكره، واعتدال لمزاجه ومواهبه، وصهر لميوله الكامنة.

أما القصص البوليسية فيجب أن تقرأ بقدر لأن اندفاع الشباب في مستهل حياته من القصص إلى قراءة هذا اللون اندفاعاً قوياً متصلاً يولد فيه الاستهتار بنظم المجتمع وتقاليده، لأن مثل هذه القصص تسهل لأبطالها بعد حوادث دامية وسرقات متصلة الإفلات من يد العدالة وما تفرضه من عقوبات رادعة، وبذلك تضيع هيبة القانون وقدسية التقاليد في ذهنه، بعد أن يمتلئ عقله الباطن بأوهام وخيالات، إنسابت إليه عن طريق تعلقه بقراءة القصص البوليسية وحدها.

وخير ما يقدم للشباب بجانب هذه القصص سير الأبطال والعظماء لتطارد فيهم عوامل اليأس والتردد والقلق، ولنخلق فيهم الطمأنينة والثقة بالمستقبل، لأن سير هؤلاء العظماء بما فيها من جهاد ومثابرة وكفاح تترك في نفس الشاب أحسن الأثر وأفضل البواعث.

وليست سير الأبطال والعلماء والعظماء وحدها هي كل ما يقدم للشباب، بل يجب أن ندفع إليه كل إنتاج يدعو إلى إنارة السبل وإثارة النزعات الخيرة ومطاردة الأفكار الفاسدة المضللة.

وغني عن البيان أن أي كتاب لا يقدم ثماره المنشودة إلا إذا عرضت أفكاره وأهدافه عرضاً شائقاً، وصقلت في أسلوب رائع تهش له النفوس وترتاح له العقول، على أن يكون رائد كاتبه الأمانة، فهي

خير ما ينشده في الجليس الصالح، لأننا لا نرضى لشبابنا جليساً خائناً لا يلزم الصدق والحقيقة والخير العام.

وهل هناك جليس صالح خير من كتاب نفيس نافع؟!

بقي بعد ذلك أن نشير إلى موضوع على جانب كبير من الأهمية وهو تطهير يتابع القراءة التي ينهل منها الشباب، باختيار النفيس الصالح من الكتب وتجنب الفاسد المضلل منها، فكثيراً ما يعمل بعض الناشرين والمؤلفين، بدافع من جهلهم أو ميلهم للشر أو حبهم للربح، إلى نشر أفكار خبيثة وآراء مضللة وصور مثيرة ونزعات شريرة، تنساب إلى ذهن الشاب فتلوث تفكيره وتفسد عليه تصويره للأمور وظواهر الكون والمجتمع، فإذا تقدمت به السن ودعى للحكم على اتجاه ما أو اشترك في توجيه غيره من الناس أصدر حكمه متأثراً بما كمن فيه من أفكار فاسدة، مختلطاً بما وعاه من قبل من آراء وصور مضللة.

وإذا تركنا الحديث وتحدثنا عن الصحف والدوريات كينابيع للقراءة، وجدنا الكثير منها يسلك طريق الكسب المادي بمختلف الوسائل، فلا تتردد عن نشر الصور الخليعة التي يتفنن مصوروها في إبراز المواضع العارية من الأجسام، وتملأ الصفحات الكاملة من فضائح الأسر والنكات الماجنة وأحاديث بعض "الأرتيستات" عن الجاذبية الجنسية وعن القبلة الأولى واللقاء الأخير، فكل هذه الأقوال

الفاسدة والفعال القبيحة إذا تعود الشاب قراءتها أصبحت من الأمور المألوفة لديه، وقد تصبح بعد حين موضع إغراء وتقليد. لهذا يجب على الآباء والمربين والمشرفين على توجيه الشباب أن يعملوا دائماً على تطهير ينابيع القراءة من الشوائب والسموم، وتنقيتها من الأفكار الفاسدة والآراء الهدامة والصور المثيرة وكل ما يقوي في الشباب حب التمرد والعصيان على القوانين والتقاليد والنظم الموضوعة. لهذا ينبغي على الآباء أن يحسنوا اختيار الصحف اليومية والأسبوعية حتى تكون ملائمة لأعمارهم.

ماذا تقرأ الخاصة؟ ماذا تقرأ العامة؟

إن تحدثت عن الخاصة والعامة فإنما أتحدث عن فئتين في المجتمع تباينت ثقافتهما تبايناً بلغ من الوضوح حداً كبيراً ، فالخاصة أوتيت من العلم والمعرفة الشيء الكثير في حين أن العامة لم تنل منهما إلا القدر الضئيل.

وإذا تحدثت عن الخاصة فإنما أتحدث عن تلك الفئة التي بلغت من النضوج الفكري ما يمكنها من أن تتروض في مروج الفكر جميعها وأن تستمع في سهولة ويسر بما فيها من حسن وروعة وخيال.

وإذا تحدثت عن العامة فإنما أتحدث عن فئة اكتفت بأول مراحل النضوج الفكري سواء أكان ذلك لعدم استعدادها الذهني أم كان

لانصرافها إلى ميادين إنتاجية أخرى اقتضتها ضرورات الحياة. وهذه الفئة الأخيرة لا تستطيع أن تضم كل ما يقدم لها من صنوف الكتب وألوان المعرفة، فلا بد إذن أن يكون ما يقدم لها متلائمة مع طبيعتها وكيانها الاجتماعي والفكري.

ولهذا نتساءل ماذا تقرأ الخاصة؟ وماذا تقرأ العامة؟

ماذا تقرأ الخاصة؟

تأخذ القراءة عند الخاصة اتجاهين معينين، الأول هو قراءة كل شيء عن شيء معين والثاني هو قراءة بعض الشيء عن كل شيء.

فبالاتجاه الأول يقرأ المثقف كل كبيرة وصغيرة تتعلق بفنه الذي تخصص فيه، فهو دائم البحث عنها بين طيات الكتب وبين سطور الصحف وبين موجات الأثير. ويهدف بالاتجاه الثاني أن يجوب رياض الفكر جميعها، فيقطف من كل غصن زهرة ليكون باقة فكرية تكون ثقافته العامة.

وبالاتجاه الأول تستطيع الخاصة أن تخدم العلوم والفنون بصفة عامة وتخدم منها ونشاطها الإنتاجي بصفة خاصة. وبالاتجاه الثاني يستطيع القارئ أن يدرأ عنه كل ملل ذهني منبعث من استمرار قراءة علم واحد أو فن واحد، حتى ولو كان من مستلزمات مهنته. وبهذا الاتجاه أيضاً نستطيع أن نبعد الجمود والركود عن مجتمعاتنا مهما

تباينت فيها الثقافات، لأن الركود والجمود فيها نتيجة لما يعتري أحاديثنا من صدأ وملل وهزال، فلو أنها أحاديث دسمة شائقة طريفة لما وجد الركود سبيله إلى مجتمعاتنا.

وهنا نتساءل كيف السبيل إلى مثل هذه الأحاديث الطريفة المقبولة؟

أقول إنه لا سبيل إلى ذلك سوى أن ينساب الرجل في مروج الفكر البشرى، بما فيه من عبيق وخيال وجمال، فيجمع ما شاءت له نفسه من ورود ورياحين، فإذا اشترك في حديث ما كان كحامل المسك لا يخلو من العبق.

ونستطيع أن ندرك قيمة ذلك لو تصورنا مجتمعاً جمع طبيباً ومهندساً ومصوراً وجيولوجياً، لا يعرف الواحد منهم غير مقتضيات مهنته لضعف ثقافته العامة.

عندئذ يتحدث المهندس في هندسة البناء .. ولكن ماذا يفهم منها الطبيب؟!

ويتحدث الجيولوجي عن عروق المعادن في باطن الأرض .. ولكن ماذا يفهم منها المصور؟

ويتحدث الطبيب عن فسيولوجيا الشيخوخة عند الإنسان. ولكن

ماذا يفهم منها الجيولوجي؟

فلو أن كلاً منهم كان على جانب من الثقافة العامة لأمكنهم أن يختاروا من الحديث ما كان عاماً، ولأمكنهم أن يخوضوا مختلف الموضوعات ولو بقدر متواضع فلا يشعر السامع والمتحدث بسأم أو ملل، فوردة من ثريا، وزنبقة من إبراهيم، وريحانة من عليّ تكون في مجموعها "باقة فكرية" ممتعة.

وبذلك يصبح حديثهم حلواً جميلاً، وحوارهم طريفاً، وجدالهم مقبولاً مستساغاً.

وفي طليعة الكتب الجديرة بأن يقرأها طلاب الثقافة العامة الكتب المقدسة وأحاديث الرسل وفلسفة الأديان، ففيها أطيب ما تطيب به النفوس الجريحة، وفيها الحكم البالغة التي تعلمنا إنكار الذات والصبر على الشدائد والاستهتار بالظالمين والتمسك بالمبادئ، وتلقي علينا دروساً في تفاهة زخارف الحياة ومتاعبها، فترفعنا إلى مستوى روحي جميل خصوصاً ونحن في حياة طغى عليها شبح المادة فأصبح خلاص البشرية متطلعاً إلى صوت الدين والأديان.

وقد تناول "أندريه موروا" الكاتب الفرنسي المشهور مسألة الكتاب القدماء والمعاصرين فقال: إنه من الضروري ومن الطبيعي أن نهتم بالكتاب المعاصرين إذ نجد منهم في الغالب أصدقاء يحسون ما

نحس ويلمسون ما نلمس، ولكن يجب أن لا يفوتنا أن نعني عناية خاصة بالكتب القديمة الخالدة، ونثق بما اختارته القرون الماضية من روائع المؤلفات، فقد تخطئ اختيار كاتب واحد ومؤلف واحد في جيل ما، ولكن الأجيال مجتمعة متوالية لن تخطئ أبداً.

ولا ريب أن "شكسبير" و"موليير" و"تاسيت" بما نالوا من مجد خالد على الدهر، مفضلين على غيرهم ممن لم يعمر مجدهم مثل هذه الحقبة الطويلة من الزمن.

ماذا تقرأ العامة؟

تحجم أغلبية العامة عن قراءة الكتب العلمية والفلسفية والمقالات الثقافية والأدبية. إذ أن معلوماتهم قليلة إلى حد أنها لا تمكنهم من إدراك الأسرار العلمية والفلسفية وفهم الأهداف الأدبية والاجتماعية فهماً يغري بالمتابعة والاستزادة، في حين أنها لا تحجم عن القراءة السطحية المسلية أو المشبعة للغرائز الفطرية الكامنة، فتقرأ المجلات الماجنة والقصص المليئة بالغراميات المثيرة لدفين المشاعر، والأخبار الملهبة لأقوى العواطف، وكذلك فضائح العظماء وربات الخدور، تقرأ العامة كل ذلك باهتمام زائد في حين أن أخبار الميزانيات والضرائب ونزع السلاح تمر عليها مر الكرام دون عناية واهتمام.

تقرأ العامة أخبار القتل والضرب والانتحار لأنها تجد فيها إشباعاً

لغريزة المحافظة على النفس.

وتقرأ أخبار الملاكمات والمصارعات والألعاب الرياضية الأخرى تغذية لغريزة المنافسة.

وتقرأ أخبار المجازفات والرحلات سواء أكانت براً أم بحراً أم جواً إشباعاً لغريزة حب المخاطرة.

وتقرأ العامة كل ماله صلة بالعلاقة الجنسية، وما يتبع ذلك من حوادث هتك العرض واللواط والسحاق، وكذلك جرائم النساء التي يمليها الهوى الجامح والغيرة العمياء، وما عليك في أمريكا إلا أن تقرأ صحيفة صباحية أو مسائية فتجد غراميات النساء وفضائح العظام وكبار رجال المال في لغة تثير النفوس وتستهوي الأفئدة، وما ذلك كله إلا استجابة العامة لنداء الغريزة الجنسية التي لم تهذب ولم تصقل عندهم بعد.

وقد صور أحد الرسامين ميل العامة إلى قراءة مثل هذه الأخبار بصورة هزلية، فيها استوقف أحد بائعي الجرائد سيدة في الطريق العام ليعرض عليها شراء واحدة من جريدتين، أمسك باليد اليمنى جريدة كتب – في صفحتها الأولى "فتاة تقتل والدها وتهرب مع حبيبها" وباليد الأخرى الجريدة الثانية كتب في صفحتها الأولى بعنوان كبير وزلزال يدمر عدة قرى، فما كان من السيدة إلا أن اختطفت

الصحيفة الأولى وقالت: ضحايا الحب أولى بالقراءة من ضحايا الزلازل.

مما سبق نرى أن أخبار القتل والانتحار والفضائح وكل ما يتعلق بالغريزة الجنسية في طليعة ما تقرأ العامة. أما ما بقي من وقت فهو موزع على قراءة أخبار الألعاب الرياضية والتعليقات السياسية والحربية.

وإذا قرءوا شيئاً عن العلم والدين فهي نتف مبسطة غاية في القلة.

الصحف الصفراء مفسدة للعامة:

إن معظم الصور والمقالات والأخبار السافرة في خلاعة واستهتار التي تقرأها العامة عن طريق الصحافة الصفراء يقوم بنشرها وتصويرها جماعة اتخذوا الكتابة العامة صناعة والضرب على أحاسيسها الحيوانية وميولها الفطرية وغرائزها الكامنة حرفة ووسيلة للربح المادي، كما اتخذوها وسيلة للتهديد والوعيد، فيقدمون للعامة صور خليعة وأوضاعاً منكرة مثيرة للخيال والتفكير الجنسي، وبجانبها تعليقات أشد خلاعة. ليس هذا فحسب بل تقرأ فيها عن القبلة الأولى والرقصة الأولى والسقطة الأولى، وما أحاطها من ظروف ونشوة ولذة.

ماذا تكون نتيجة قراءة مثل هذه الموضوعات الإباحية؟. لاشك أن فيها إفساداً للفطرة البشرية، ووأداً للحياء، وتحطيم للمثل العليا.

أليس في ذلك ما يحطم روحانية الحب، ويدنس أوضاعه وما فيه من حسن وروعة وجمال.

قد يدفع أنصار هذه الصحافة الإدعاء بأن الشواطئ مليئة بأشباه العاريات والمناظر المثيرة. فأقول لهم بأن الأجساد العارية الملقاة على الرمال لا تثير الغرائز والأحاسيس الحيوانية بقدر ما تثيره الصحافة الصفراء، فعلى الشاطئ نجد الأجساد العارية بكثرة وبحالة متكررة إلى حد أنها تميت الرغبة في نفوس أغلب المصطافين فيصبح المنظر منظراً عادياً مألوفاً. أما الصور الخليعة في الصحف الصفراء وما يتبعها من تعليقات خاصة توسع آفاق الخيال والتصور، وتقوي نداء الغرائز عند نفوس لم تأخذ قسطها من الصقل والتهذيب بعد.

وقد تناول الدكتور كارنو الفرنسي الصحافة المخلة بالآداب والمشوهة للفطرة البشرية في فصل كتبه بعنوان أعداء الحب في كتاب سماه "في خدمة الحب" فقال:"هناك مجلات جعلت الشباب الفرنسي ينظر إلى الفتاه أو إلى المرأة كأنها إنسان لا يستمع منه الرجل إلا باللذات الجسدية، بل هي تعرض الغريزة الجنسية على أنها طبيعة قاهرة ينبغي البحث عنها والاستمتاع بما فيها من لذة في كل وقت وحين"

وقد ذكر الدكتور كارنو، في هذا الفصل أيضاً شيئاً عن الغزيرة الجنسية وعلاقتها بالصحافة فقال: "لقد زارني جنديان من الجنود

يعيشان في إحدى الثكنات مصابان بمرض سري. وعندما سألتهما عن السبب في ذهابهما إلى بيوت الدعارة قالاً: إن ردهة النوم بها صورة عارية ومجلات ماجنة، فبعد قراءة قصة من قصص الغواية الملتهبة ومشاهدة صور من الصور الخليعة العارية لم يسعهما إلى الانطلاق إلا أماكن البغاء دون وعي أو تفكير.

أمام هذا كله لا نستطيع أن ننكر أن الصحافة الصفراء خلقت الإرضاء أدنأ الأذواق وأحط الغرائز، بل نستطيع أن نقول ما هو أكثر من ذلك. نستطيع أن نقول إنها خلقت لتعمل مع سبق النية والإصرار على ركود الذهن وتوسيع هوة الجهل التي انغمست فيها العامة. ونستطيع أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك أيضاً فنقول إنها تنحدر بالبشرية من مكانها اللائق إلى الوحل وحضيض الهمجية.

ماذا تقرأ الجماهير؟ (تجربة للسير أرثوركيت)

أراد العالم الكبير أن يعرف هل الإنسان كائن عاقل يعتمد على ذهنه، أم أنه خاضع للعواطف والشهوات والغرائز، فعمد إلى بحث "ماذا يقرأ الجمهور الإنجليزي من الصحف اليومية" ، فالصحف في نظرة مرآة ناطقة تعكس عقلية القراء في وضوح وجلاء.

ولهذا اختار السير أرثوركيت خمس صحف ورتب أخبارها وأقوالها وإعلاناتها. وهي الصحف الخمس قد اختارها بحيث تمثل الرأي العام

الإنجليزي من جميع الطبقات. وهذه الصحف هي: جريدة من جرائد الصباح المحترمة وجريدة أخرى من جرائد الصباح العامة التي يقبل عليها الجمهور وجريدة من جرائد الأحد التي تنشر في الأقاليم، أم جريدة المانشستر جارديان وهي جريدة الطبقة المستنيرة في شمال إنجلترا، وجريدة الافننج نيوز وهي أوسع الصحف المسائية انتشاراً في لندن.

وأول ما لاحظه السير كيث أن هذه الصحف تكاد تكون خلوا من أخبار البر والإحسان أو هي لم تزد عن جزء من مائة من الأخبار. ولكنه عزا ذلك إلى أن الصحف تتحاشى هذه الأخبار لأنها تعرف أنها إذا فتحت هذا الباب لم تتسع أعمدتها لطلب الصدقات من الجمعيات الخيرية وما شاكلها.

ثم نظر في الدين فوجد أن جريدة الشمال تخصص من صفحاتها واحداً في المائة لأخباره بينما صحيفة لندن "المحترمة" لم تخصص لهذه الأخبار سوى ٠,٧٪ . أما الجرائد الأخرى فليس فيها شيء من الكلام عن الدين. وقد قال السير كيث عن هذه النقطة: وواضح من هذا أن الصحف لا تمثل أفكارنا وإحساساتنا الدينية من حيث العمق أو النشاط لأني أعتقد أنها لم تشغل أكثر من واحد في المائة من انتباهنا اليومي. فهل نحن لا نؤمن حقيقة بالدين كما ندعي؟"

ثم بحث عن العلم فوجد أن صحيفة الشمال تمتاز على صحيفة لندن من هذه الناحية. فإن العلم يملأ من أعمدتها ٤٪ بينما هو نصف ذلك في صحيفة لندن. أما في الصحف العامة الأخرى فالعلم لا يملأ منها سوى واحد في المائة، وصحف الأحد لا تخصص له سوى نصف في المائة، هذا مع أنه تسامح في معنى "العلم" فضمنه كل شيء كتب في هذه الصحف عن الصحة والطب وقصص التاريخ الطبيعي والتنبؤات الجوية.

ولكن القارئ يمكنه أن يكون على شيء من النشاط الذهني، ولو لم يقرأ العلم. ففي الصحف أشياء أخرى غير العلم جمعها السير كيث تحت عنوان الأخبار الذهنية، وهي: المقالات الافتتاحية مهما كان موضوعها والمقالات الأدبية والوصفية والتي تعالج الموضوعات العامة ونقد الكتب وأخبار التعليم وتقاريره والقصص والألغاز المتقاطعة. فوجد أن جريدة الشمال تخصص ١٣٪ منها لهذه الأخبار تليها في ذلك جريدة الأحد التي خصصت ١٠٪ منها ثم جريدة المساء في لندن وقد خصصت ٨٪ ثم الجريدة "اللندنية" التي خصصت ٢٪ ثم جريدة الصباح العامة وقد خصصت للنشاط الذهني ٥٪.

وبحث الفنون فوجد أن كميتها في الصحف الخمس لا تزيد إلا قليلاً عن العلم. فأين تكون إذن سائر أعمدة الصحف وماذا يقرأه القراء فيها؟.

وأخيراً توصل السير كيث أن معظم ما تمتلئ به أعمدة الصحف ينقسم إلى أربعة أقسام هي:

١- الصناعة والأعمال.

٢- الرياضة بجميع أنواعها.

٣- الحوادث والبوليس والمحاكم.

فقد وجد أن الصحيفة "اللندنية" تخصص ٣٣٪ من أعمدتها لأخبار الأعمال والصناعة، بينما جريدة الشمال تخصص ٢٢٪، أما جريدة الأحد

فقد قنعت بستة في المائة. وهنا يقول "إن اهتمامنا بالدين والفنون والآداب والعلوم لا يمكن أن يقابل باهتمامنا بالأعمال والصناعة".

ثم يقول: "إن عطشنا للأخبار الخاصة بالطلاق والقذف والقتل والانتحار والحرائق والحوادث والمواقف الخطرة لا يطفأ. فإن هذه مسائل تخاطب فينا أعمق النواحي في طبيعتنا وأقدمها .."

ووجد أن الصحيفة اللندنية تخصص لهذه الأخبار ٣٪ فقط من أعمدتها وجريدة الشمال أقل منها ولكن الجريدتين الأخيرتين تزيدان قليلاً في كمية هذه الأخبار، أما جريدة الأحد فإنها ترصد ٢٥٪ من أعمدتها لها.

أما في الرياضة البدنية فإن صحيفة الشمال أي "المانشستر جارديان" تفوز في الميدان، فإن هذه الأخبار الرياضية تشغل منها ١١,٧ من مجموعها. وهنا يقول السير كيث: إن النشاط الذهني والرياضة لا يتعارضان فكلاهما بروج في شمال إنجلترا. أما الجريد اللندنية فقد خصصت للرياضة ٥,٧٪ منها. وخصصت جريدة الأحد ١٤,٥٪ للرياضة وأما الجريدتان الأخريان فقد بلغ المخصص منهما لهذا الغرض ٩٪.

وقد عقب السير كيث على هذا البحث بجملة ملاحظات قال فيها إن حب الرياضة قوي في الإنسان وهو قوي لأنه يوقظه ويلهب رغبتين من أعمق وأقدم رغبتين من رغباتنا المتأصلة، هما رغبة المنافسة ورغبة الكسب. فالمنافسة والمجاهدة للربح هما مسرات الرياضة الحقيقية. وآخر الأشياء التي يمكن الناس أن يتسامحوا فيها هو الحياة الهادئة المتجانسة. فهم يطلبون ما يثير ويهيج ويظفرون به بالمخاطرة، أي أنهم يخاطرون بالخسارة ويأملون في الربح .. وقد لا نحب الرياضة بجميع مظاهرها ولكننا لا نستطيع أن تنكر أنها تفتح بصيرتنا في فهم الطبيعة البشرية.

ماذا تقرأ المرأة؟

كانت رسالة المرأة فيما مضى محصورة في دائرة ضيقة، لا تعدو تنسيق البيت وإعداد الغذاء والكساء، وكان كل ما يلزمها قراءة كتب

تجميل البيت وإدارته وتدبير شئونه، مع بعض الكتب الدينية التي تشرح لها أركان دينها وتثير فيها حب التعلق بأهداف الفضيلة. أما الآن وقد تغيرت معايير الأمور وتبدلت معالم الحياة الاجتماعية ودخلت المرأة في معترك الحياة وبرزت في كثير من مظاهر نشاطها، فلم تعد قراءة كتب تدبير المنزل وإدارته كافية بمفردها، والمرأة التي تغشى المجتمعات والأندية لابد لها من قراءة واسعة الأفق حتى تتكون لديها ثقافة عظيمة تعينها على الاشتراك في الأحاديث العامة والخاصة التي تتناولها هذه المجتمعات والأندية اشتراكاً صحيحاً منتجاً.

ولم تعد ربات البيوت في زيارتهن يتحدثن عن الأزياء وأمور البيت فحسب، بل بدأن يتحدث أحاديث اجتماعية واقتصادية ويسايرن الزمن في تطوره. أمام هذا التغير والتطور في حياة المرأة الشرقية، وجب اتساع آفاق القراءة عندها، وباتت الكثيرات منهن مطالبات بتتبع التيارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فأصبح من الضروري قراءة مؤلفات علم النفس حتى تستطيع دراسة بعض مشاكل أطفالها وأفراد أسرتها دراسة صحيحة ومعالجتها معالجة علمية سليمة.

وإذا عجزت ربة البيت اقتناء الكتب وقراءتها لضيق دخلها وقلة وقتها فعليها أن تختار من المجلات الدورية الممتازة بحسن تعبيرها وسلامة مادتها وتنوع ثقافتها لتستمع بكنوزها في بعض أوقات فراغها.

وأخيراً أستطيع القول أن المرأة العصرية في حاجة إلى قدر وفير من القراءة لتضيف إلى شخصيتها وجاذبيتها قوة وسحراً، فلم يعد تقدير المرأة بجمال شكلها وحسن هندامها فحسب، بل أصبحت طلاقة اللسان وحسن الحديث وقوته عناصر فعالة من عناصر جمال المرأة وجاذبيتها وتقدير شخصيتها. وهذه العناصر الجديدة لا تتولد إلا بالقراءة المجدية المنوعة المتصلة.

الفصل الثالث

كيف نقرأ ؟

تركيز الذهن .. تخيير القارئ لخير ما يقرأ .. تنوع القراءة .. وتعددها .. أين تقرأ؟ متى تقرأ؟ .. تحرر القارئ .. الإفراط في القراءة.. القراءة السريعة .. القراءة الصحيحة .. القراءة والذاكرة.

كيف تقرأ ؟

تركيز الذهن

إن تصفح الصفحات المطبوعة من غير تأمل وروية ومتعة، أشبه ما يكون بالذهاب إلى روض أو حقل دون أن نستمتع بما أودعه الله من آيات الحسن والجمال والإبداع، فالذين يقرءون ولا هم لهم إلا قتل الوقت، لا يحسون روعة الفكر وحسن التعبير وجمال الخيال في صفحات تتوالى أمام أعينهم وهم في حال أبعد ما تكون عن اليقظة، فبئس ما يفعلون. لابد لكل من يريد أن يحسن القراءة أن يستيقظ لكي يستمع، ولابد أن يكون حواسه جميعها منتبهة لكي يلتقط الصورة التي تمثلها الألفاظ في دقة ووضوح. أما إذا كان أقرب إلى السبات، كان كل متاعه حلماً يزين له أن يضم معاني الألفاظ بين

زراعيه وهي تفر منه كالغزال الشارد. لهذا وجب على القارئ أن يكون مستيقظ الحواس، مركزاً ذهنه فيما يقرأ من غير أن يتأثر بالمؤثرات المحيطة به، فلا يستجيب إلا للصفحة التي أمامه، يوجه إليها كل اهتمامه، ويسبح معها كيفما شاءت في رحلة الفكر والخيال.

وليس تركيز الذهن بالشيء القليل الأهمية، بل هو سر من أسرار عبقرية المفكرين وقد بلغت مقدرة تركيز الذهن عند المؤرخ الإنجليزي "اللورد ماكولي" حداً كبيراً فكان يمشي في شوارع لندن الخاصة ومعه كتاب يقرأ فيه، وكان يستطيع بعد أن يقرأ في هذا الجو الصاخب أن يتلوه عن ظهر قلب.

وتركيز الذهن معناه القدرة التي تملي على العقل واجبة وتكفل طاعته، وهذه القدرة تكسب بالمران والصبر. فإذا استطاع القارئ أن يرد عقله مرة بعد أخرى إلى الموضوع الذي يعالجه فإن الخواطر الطارئة التي تتنازعه لا تلبث أن تعود من حيث أتت، وبتكرار ذلك والمثابرة عليه يصبح تركيز الذهن عادة من عاداته المألوفة.

وقد شوهد "رويس" أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد واقفاً في المطر المنهمر في ساحة الجامعة لا مظلة تحميه، ولا معطفاً يقيه، وهو يبحث مسألة فلسفية مع طالب كان يرتدي ثياباً خفيفة. كان الطالب يشعر بوطأة المطر ويحاول الفرار، ولكن لا يجد إليه سبيلا فأستاذه يحدثه من غير انقطاع. ولم يكن هذا الأستاذ يشعر بشيء مما حوله، ولم

يكن يدرك أن السماء تمطر، لأنه ركز ذهنه في الموضوع الذي كان يتحدث فيه، فلم يعد يشعر بشيء مما كان يدور حوله.

وكل من عرف هذا الأستاذ الفليسوف.كان يعترف بأنه لم يبلغ الذروة في ميزانه العقلي إلا بفضل تركيزه الحاد في موضوع معين.

وتركيز ذهن القارئ يتطلب فضلاً عن المران والصبر التغلب على المؤثرات المقلقة والمتاعب البدنية، ومنها خلو المكان الذي يجلس فيه القارئ من الضجيج والألوان الساطعة والأنوار البراقة والصور المتحركة، مع تجنب الإجهاد والتخلص من متاعب الهضم وتوتر العين.

والقارئ لا يستطيع أن يركز ذهنه ويستجيب لما يقرؤه ولا أن يسبح في رحلة الفكر والخيال، إلا إذا اختار لقراءته كل ما هو شائق نافع من الموضوعات، لأن الميل إلى الموضوع من أكبر بواعث توفر الذهن على فهمه وبحثه وحفظه ووعيه. والنفس لا تقبل إلا ما يلائم طبيعتها وميولها، لذلك نرى أن من يقرأ شيئاً لا تميل إليه نفسه كمن يزرع نبتاً في غير أرضه، ولعل هذا هو الذي دعا ابن المقفع أن يقول "من أبواب التوفيق والتوفيق في التعلم أن يكون وجه الرجل الذي يتوجه فيه من العلم والأدب فيما يوافق طاعة ويكون له عنده محل وقبول فلا يذهب عناؤه من غير غناء، ولا تفنى أيامه من غير درك، ولا يستفرغ نصيبه فيما لا ينجح فيه، ولا يكون كرجل أراد أن يعمر

أرضاً تهمه[1] فغرسها جوزاً ولوزاً، وأرضاً جلسا[2] فغرسها نخلاً وموزاً"

لهذا كان إجبار القارئ على قراءة موضوعات جامدة لا تتفق مع ميوله وأهوائه، مضيعة للزمن من غير فائدة، ومتعبة للنظر من غير جدوى، ومشغلة للبال من غير طائل.

وتقييد القارئ لما يتصديه في أثناء قراءته من لآلئ فكريه وحكم فلسفية وبدائع منطقيه وتحف شعرية نوع من الادخار الفكري. فنحن ندفع في سبيل الحصول عليها ثمناً غالياً من راحتنا ووقتنا، الأمر الذي يتطلب منها الحرص الزائد لأننا معرضون للنسيان، وقد تعود حاجتنا إلى تلك اللآلئ والتحف والبدائع مرة أخرى فإذا لم تكن قريبة المنال بذلنا في سبيل الحصول عليها مثل ما بذلنا أول مرة من جهد كبير. وهذا ما كان يتبعه الكاتب الفرنسي "أندريه موروا" عندما كان يغوص في بحار الفكر. لقد كان يقيد صيده الفكري والفلسفي حرصاً عليه من الضياع.

ومن ناحية أخرى نرى تدوين النافع والشائق من الصور والحقائق الطريفة بجعلها مختزنة في ذاكرتنا في صورة باقات فكرية ممتعة، نلقي بها في أحاديثنا في سهولة ويسر فنستمع بما لها من عبيق فكرى ممتع. ولعل هذا هو الذي دعا مصعب بن الزبير إلى أن نقول يتحدث الناس

(1) الأرض المتصوبة إلى البحر.

(2) الأرض الثقيلة.

بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون.

تنوع القراءة وتعددها

ولتنوع القراءة أهمية كبيرة، فانتقال القارئ من مقال جدي إلى مقال فكاهي، ومن موضوع رياضي إلى آخر فني، ومن قصيدة شعرية إلى قصة اجتماعية، من الأمور التي تطارد الملل وتبعث الشوق وتعين على سرعة فهم الحقائق وامتصاصها، لأن قراءة لون واحد من ألوان المعرفة قراءة متصلة قد يسبب صدأ العقول وملل النفوس وركود الأذهان.

ولتعدد قراءة الكتاب الواحد أهمية فائقة أيضاً فمن الأفضل عند قراءة المؤلفات الفلسفية والعلمية والاجتماعية اعتبار القراءة الأولى قراءة عامة لتكوين فكرة شاملة عن الموضوع بأكمله، ولبحث أهداف المؤلف ومراميه، متتبعاً في نفس الوقت ما يبديه من أدلة منطقية إن كان الكتاب قائماً على التسلسل المنطقي. وفي القراءة الثانية أو في القراءة الثانية والثالثة يستطيع القارئ أن يستمتع بما في الكتاب من جمال التصوير وحسن التفسير وعظمة التحليل وبديع الخيال والتفكير.

وأعمار الكتب الخالدة لا تقاس بالسنين، فكثيراً ما نرى عند إعادة قراءة كتاب بعد قراءته الأولى بسنوات أن الفهم قد تحول

بتحول نظر القارئ إلى أوضاع الحياة وتفهمها، واتسع باتساع نطاق خبرته. ويروى أن حكيماً أمريكياً قرأ أحد مؤلفات كارليل في العشرين من عمره نفرج صفر اليدين، فلما عاد قراءتها في الخامسة والثلاثين من عمره لاحت له من الأفكار والمعاني ما منح الكتاب حسناً وتقديراً، وكان وهو يروي هذه القصة في الخامسة والخمسين من عمره يقضي ساعات الفراغ في مطالعة هذا الكتاب للمرة الثالثة.

ويروى عن "الفارابي" أنه قال: قرأت كتاب السماع لأرسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته.

أين تقرأ؟

للمكان الذي تقرأ فيه أهمية لا يستهان بها في تحديد مدى الاستفادة من القراءة، فخير الأمكنة ما كان هادئاً بعيداً عن الأصوات والجلبة المقلقة للنفس المبددة للخواطر والأفكار. ولهذا كان ما يقرؤه الإنسان في حجرته الخاصة أو حديقته الهادئة أعظم أثراً مما يقرؤه في مراكب الترام والأماكن العامة الغاصة بالناس، إذ يكون الذهن في الغالب مشتتاً لا يستطيع أن يستجيب لما يقرؤه استجابة تامة.

وهذا هو الذي دعا بعض رجال الفكر والتربية إلى أن يشيروا على القارئ بأن تكون قراءته في جو هادئ يحفه الاحترام والإجلال والتأمل، كالجو الذي تقام فيه الاحتفالات الكبيرة، حيث تعزف القطع

الموسيقية الخالدة. وفي العزلة التامة وسكون الليل يستطيع المرء أن يجني من القراءة خير الفوائد وأعظمها.

متى تقرأ؟

ولاختيار الوقت المناسب للقراءة أهمية كبرى، فالقراءة التي تكون بعد إجهاد عقلي وإنهاك جسماني تكون قليلة النفع، بعكس القراءة التي تكون بعد راحة جسمانية طويلة فهي أكثر فائدة وأعمق أثراً. لهذا كان الوقت الذي يعقب اليقظة من النوم أفضل الأوقات حيث تكون الأعصاب والمخ قد نالت قسطها من الراحة فتقوم بعملها خير قيام.

وقد تناول الدكتور "هوارد فيلب" أثر الإجهاد في القراءة فقال: إن التحرر من التعب والإجهاد شرط ضروري للتذكر، فالإنسان لا يستطيع أن يحسن التذكر إذا كان متعباً.

وقد تناول هذه الناحية عند الطلبة الذين يعتمدون على الذاكرة اعتماداً كبيراً فقال إن مواصلتهم الاستذكار لساعات طويلة تجعلهم متعبين مجهدين، ومن ثم لا يستطيعون أن يستظهروا ما أمامهم من جمل وسطور، بل إن التعب قد يؤثر تأثيراً سيئاً فيما درسوه من قبل، وهم في حالة من النشاط والراحة. وإذا كان الإجهاد والإفراط في الاستذكار عادة ثابتة لا يقلع عنها الطالب أصبح الجهاز العصبي كله متعباً على الدوام، وحتى في صباح اليوم الجديد لن يشعر المرء بنشاط

وراحة حقيقية، وهكذا تصبح نتائج الاستظهار مدعاة للاستياء وخيبة الأمل.

لهذا كان من أوجب الأمور على الطالب، لينتفع بقراءته على خير وجه، أن يتجنب الإجهاد المتصل في قراءته واستذكاره، لأنه يقلل من نشاط الذاكرة والدور الذي تقوم به.

ولكل كتاب وقت مناسب لقراءته، فكثيراً ما ندرك عند إعادة قراءة كتاب، بعد قراءته الأولى بسنوات، أن فهمنا لمقاصده ومراميه قد تغير بتغير فهمنا لأوضاع الحياة، واتسع باتساع نطاق خبرتنا على مدى الأيام. ويروى أن مفكراً أمريكياً قرأ أحد مؤلفات كارليل في العشرين من عمره فخرج صفر اليدين فلما أعاد قراءته في الخامسة والثلاثين لاحت له الأفكار والمعاني في ثوب قشيب بديع، نالت منه استحساناً وإعجاباً.

تحرر القارئ

ينبغي على القارئ عدم التسليم بصحة كل ما يقرأ فلا يخضع للكاتب خضوعاً تاماً، الأمر الذي يحط من كرامة العقل من ناحية ويضعف روح البحث عن الحقيقة الخالصة من ناحية أخرى، إنما يجب أن يكون رائده في القراءة وزن الحقائق وتقدير الأمور تقديراً يدفع إلى إظهار الحق وإبطال الباطل، وبهذا يذهب الزبد جفاء، أما ما ينفع

الناس فيبقى حقيقة سافرة مستقرة في الأذهان. والذي يدعونا إلى المحافظة على كرامة العقل البشري في أثناء المطالعة هو تلك القدسية التي تحيط بكل ما هو مطبوع.

وقد تناول ج. أرفين هذه الناحية في فصل بعنوان "بين المؤلف وجمهور القراء" قال فيه: "طالما رأينا رجالاً رفيعي المقام عظيمي الجاه يستمعون في خشوع إلى آراء كاتب قد يكون أقل منهم مقاماً، لا لشيء سوى أنه دون كتاباً في فن من الفنون"

فكأن تدوين المؤلف لهذا الكتاب أحاط أفكاره بسياج من الاستقرار وهالة من الاحترام، بعد أن كانت تائهة حائرة في بيداء الحقيقة. ولعل هذه القدسية المبالغ في أمرها هي التي تدفعني إلى أن أقول: يجب على القارئ ألا يجعل همه معارضة كل ما يقرأ ولا التسليم به كل التسليم، ولا أن يتخذه مجرد لهو ودفع ملل، إنما يجب عليه أن يقرن القراءة بوزن الكلام وتقديره.

الإفراط في القراءة

كل شيء تجد فيه النفس البشرية لذة ومتعة عرضة للإفراط فيه، حتى القراءة تنقلب عند الإفراط الزائد من فضيلة إلى رزيلة، إلا أنها هي الضرب الوحيد من ضروب الإدمان والإفراط الذي نجا من الذم وخلا من النقد.

والإفراط الزائد يبعد القارئ عن الحياة الواقعية، فيصبح غير قادر على أن ينتفع بما قرأ، فتصبح المجهودات التي بذلها في القراءة الزائدة مجهودات معطلة.

وأن مثل الذخيرة العلمية التي استقرت في ذهن القارئ مثل قطع الفحم في أفران الآلات البخارية لا تنطلق طاقتها الحرارية الكامنة لاستغلالها في أغراض صناعية، إلا إذا احترقت واشتعلت، كذلك الحال في المعرفة المختزنة في ذهن القارئ المفرط، لن تنطلق طاقتها الفكرية لتطبيقها والانتفاع بها في ميادين الحياة المتباينة إلا إذا وجد هذا القارئ بعض وقته الوقت، لينزل إلى معترك الحياة فينصهر في بوتقة الواقع.

وقد تناول سير جون آدمز في كتابه مرشد المتعلمين **Student's Guide** موضوع الإفراط في القراءة فقال: إن الذين لا يحصلون على معارفهم إلا من الكتب ولا يخالطون الناس إلا قليلاً، هم بمثابة سوس كتب، ويعدون نظريين وغرباء عن المجتمعات. وليس دواء ذلك في إهمال القراءة ، ولكن علاجها هو أن يجمعوا بين القراءة، ومخالطة الناس، حتى يمكن الانتفاع بكنوز المعرفة في معترك الحياة.

القراءة السريعة

القارئ السريع هو الذي يفهم في الحال وبكل دقة، وقلما يستعيد

ما قرأ. فهو يلتقط معاني الجمل في نظرة واحدة. وهو قادر على أن يستوعب السطر المطبوع في لمحتين أو ثلاثة من لمحات العين.

أما القارئ البطيء فهو الذي يوجه اهتمامه إلى الكلمات قبل أن يوجهها إلى معاني الجمل والأسطر مجتمعة، ويحرك عينيه ست مرات أو سبع مرات في السطر العادي. وهو في العادة لا يقرأ بعينيه فقط بل يشرك الشفتين والحنجرة والأوتار الصوتية, ويستطيع القارئ أن يختبر مدى سرعته في القراءة بما يلي:

أولاً– اقرأ سراً خمس دقائق ، ثم عد الكلمات واقسم عددها على خمسة، فإذا كان الناتج أقل من ١٠٠ كلمة في الدقيقة فإنك قطعاً تقرأ ببطء.

ثانياً– اطلب إلى صديق أن يرقب شفتيك وأنت تقرأ سراً، لأن القارئ الذي يقرأ كلمة فكلمة لابد أنه يحرك شفتيه.

والذين يعملون على عدم تحريك الشفتين عند القراءة هم الذين يكسون سريعاً مقدرة استيعاب المعنى، ويتخلصون في سهولة من عائق تحريك العضلات أو محاولة تحريكها. هب أنك متعود تحريك الشفتين في القراءة ثم شرعت إيقاف تلك الحركة، فإنك تشعر على الأرجح بتوتر خاص في الحلق، تستطيع أن تنسبه إلى محاولتك النطق بالكلمات التي تقرؤها. ولهذا كان من الأجدى أن نتخلص من هذه

الحركات العضلية المكتومة، فإنها تضيع بعض الوقت وتوجه الطاقة إلى غير مجراها.

وقد تناول ج. أوبريان الأخصائي في فن القراءة علاقة القارئ بتحريك الأوتار الصوتية أو بتحريك الشفتين، وأثر ذلك في مدى الانتفاع بالقراءة، فقسم القراء إلى ثلاثة أقسام.

(١) قارئ سماعي يقرأ بسماع الألفاظ من أوتار صوتية.

(٢) قارئ آلي وهو الذي يحرك شفتيه عند القراءة.

(٣) قارئ بصري وهو الذي لا يقول شيئاً ولا يسمع شيئاً، وبذلك لا تنقل أوتار الصوت الألفاظ إلى الذهن.

وهذا النوع الأخير من القراء لا تعنيه الكلمات المرصوصة، فليست السطور أمامه إلا مجموعة أفكار وآراء وصور. وهذا النوع الأخير من القراء أفضل أنواع القراء جميعاً، وهو في الواقع لا يقرأ ولكنه يهضم. وهو أشبه ما يكون بإسفنجه جافة تمتص ما حولها من ماء.

هل تريد زيادة سرعة قراءتك؟

يشير الدكتور روبرت. م. بير مدير معهد القراءة بكلية دارتموث على القارئ البطيء إن أراد زيادة سرعته في القراءة بما يلي:

أولاً- على القارئ البطيء أن يقرأ خمس دقائق كل يوم لمدة شهر، بأسرع مما يطيق، من غير أن يهتم بما فاته من معني جملة أو فقرة، بل يستمر متتبعاً أصل الموضوع، ثم يسجل كم كلمة قرأها في كل خمس دقائق. قد يجد القارئ البطيء أن ما قرأه على هذا النحو به غموض في بعض نواحيه ولكنه بعد عشرة أيام تقريباً يجد نفسه قد استوعب من المعاني أكثر فأكثر، وإذا به بعد شهر يجد نفسه يقرأ بدرجة أكثر مما بدأ، وقد تصل سرعته إلى ضعف السرعة التي بدأ بها قراءته.

ثانياً- على القارئ البطيء أن يعمل على توسيع نطاق النظر فإن العينين يتحركان فوق السطور في قفزات قصيرة. وبين هذه القفزات تقف العينان جزءاً من الثانية يسمونه تثبيتاً. وكلما قلت مرات التثبيت ازدادت سرعته في القراءة، وزاد احتمال استيعاب معاني جمل بأكملها.

ثالثاً- وعليه أيضاً ألا يحرك شفتيه، ولا يسمح لأوتار صوته بأن تنطق الكلمات، وعليه ألا يحاول إعادة كلمة فاته معناها، ففي الغالب سيفهمها من سياق الكلام. وعليه أن يوجه نظره إلى الأمام وإلى الأمام على الدوام.

الذخيرة اللغوية وسرعة القراءة:

يتفق خبراء في القراءة أن قلة الذخيرة اللغوية تعد عائقاً من عوائق

سرعة القراءة، ولكن هذا لا يتطلب من القارئ أن يتوقف ليراجع كل كلمة جديدة عليه في المعاجم اللغوية، بل ينبغي عليه أن يمضي في القراءة إلى آخر الفقرة، فكثيراً ما يتضح معنى الكلمة من طريقة استعمالها أو من سياق الكلام وتتابعه. ويرى "تورمان لويس" أحد خبراء في القراءة أن الذخيرة اللغوية لا تنالها من مراجعة جداول طويلة من الألفاظ في المعاجم بل نستمدها في العادة من الاطلاع الواسع والقراءة المتصلة المقرونة باليقظة وحب المعرفة.

ومن خير الأمور التي تعين على سرعة القراءة هو أن يوجه القارئ اهتمامه إلى فكرة الكاتب وهدفه، وتعقبها في لهفة وشوق، بدلاً من أن يتعقب الألفاظ والعبارات.

الآن نستطيع أن نلخص صفات القارئ السريع والقارئ البطيء فيما يلي:

القارئ السريع

القارئ السريع هو الذي يقرأ بسرعة فيبلغ ما يقرأ في الدقيقة الواحدة ٥٠ كلمة أو أكثر في المجلات أو القصص أو مقالات الصحف، أما في الكتب العلمية والأدبية فتستطيع قراءة ٣٠٠ – ٤٠٠ كلمة في الدقيقة.

- القارئ السريع هو الذي يفهم في الحال وبدقة ولا يغفل شيئاً له قيمته.

- القارئ السريع قلما يستعيد ما قرأه بل يلتقط المعنى الكامل للجمل من نظرة واحدة.
- القارئ السريع يستوعب السطر العادي المطبوع في لمحتين أو ثلاثة من لمحات العين.
- القارئ السريع أصم تقريباً في أثناء قراءته. وكل وعيه متجه إلى الأفكار الواردة إليه.
- القارئ السريع لا يتعب غالباً، ويستطيع قراءة الكتاب في جلسة واحدة أو جلستين.

القارئ البطيء

- القارئ البطيء هو الذي يقرأ ببطء، وتتراوح الكلمات التي يقرأها بين ١٠٠ – ١٥٠ كلمة في الدقيقة الواحدة.
- القارئ البطيء هو الذي يلجأ إلى إعادة القراءة، فيقرأ الكلمة أو الجملة مرات حتى يفهمها.
- القارئ البطيء هو الذي يوجه اهتمامه إلى معاني الكلمات بدلاً من توجيهه إلى معاني الجمل وفكرة المؤلف وأهدافه.
- القارئ البطيء هو الذي يحرك عينيه ست مرات أو سبع في السطر العادي المطبوع.

- القارئ البطيء هو الذي يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتاره الصوتية.
- القارئ البطيء لا يركز تفكيره، بل تراه في أثناء القراءة ينصرف إلى العالم الخارجي من حوادث ومناظر وضوضاء.
- القارئ البطيء هو الذي يتعب بسرعة فأقصى ما يستطيع قراءته في الجلسة الواحدة لا يزيد عن اثنتي عشرة صفحة.

هل القراءة السريعة مرغوبة في كل الحالات؟

القراءة السريعة مرغوبة في أغلب الأحيان عند قراءة الأخبار والتعليقات السياسية والحرية والقصة على اختلاف نزعاتها، وكذلك عند قراءة أي لون من ألوان المعرفة التي لا تحتاج إلى تأمل أو تفكير عميق، ولكنها تكون غير مقبولة إذا كان هدفها الاستمتاع بالأسلوب وطريقة التعبير. وكذلك قراءة الشعر تتطلب الإقلال من سرعة القراءة، إذ يتخللها أوقات التأمل والتفكير. وما ينطبق على الشعر ينطبق ولو إلى حدٍ ما على الفلسفة.

إن الشاعر يبذل في قصائده أقصى جهده ليثير في ذهن القارئ صوراً متباينة، ويهتم بذلك أكثر من اهتمامه بمادة تلك الصور. فالوصف الجيد الذي تقرؤه في شعر تنسون أو سكوت لا يعلمك بقدر ما ينبهك ويحفزك. وعقلك هو الذي عليه أن يأخذ الخواطر التي

يأتي بها الشاعر ويؤلف بينها. ولعل هذا هو الذي يدفعنا أثناء هذا اللون من القراءة إلى وضع الأصبع بين صفحتي الكتاب وزخى العقل والعنان. يجوس خلال الأفكار والخواطر التي استثارها الشاعر.

جنون السرعة

تناول الباحث المجري "هنريك رالف" في كتاب له موضوع الفكر وجنون السرعة، فحمل حملة قاسية على الإنتاج الأدبي السريع والقراءة السريعة فقال أن الإنتاج الصحفي السريع الذي يدر على الكتاب في أيامنا هذه المال الوفير، هو الذي باعد بينهم وبين إنضاج مؤلفاتهم وإمتاع الناس بإنتاج أدبي خالد.

لقد أصابت الكاتب حمى الإنتاج السريع، وراح القارئ يسرع في قراءته، والأعصاب بين هذا وذاك دائمة التوتر.

فاليوم يؤلف الأدباء كتباً مختصرة، وكتباً ضخمة لا يقرؤها سوى نفر قليل، ويكتفي الجمهور بمطالعة شيء عنها في الصحف والمجلات.

والظاهرة الواضحة كل الوضوح هي أن معظم الكتب الأدبية تؤلف بسرعة فتخرج كسيحة، فأين اليوم روائي كفلوبير يمكث أكثر من خمس سنوات في وضع قصة؟ وأين زولا الروائي الذي يفكر في تصوير عصر بأجمعه في قالب قصصي ممتع.

إن كتاب اليوم عشقوا السرعة فقضت على مستقبل إنتاجهم

الأدبي شر قضاء.

ويقترح "رالف" لاتقاء خطر السرعة بتنظيم مسابقات في قراءة الكتب العظيمة والمجلات التي تعني بالفكر الراقي في مختلف معاهد الدراسة، فمتى تعود الطالب على حب القراءة العميقة وبعد عن القراءة السطحية، نفر من الإنتاج الأدبي الرخيص، وأجبر الأدباء على الأناة والروية حتى ينضج إنتاجهم.

القراءة الصحيحة

ينبغي عندما نجلس للقراءة أن نكون جلستنا جلسة صحية. والجلسة الصحية هي التي يكون فيها الجسم مستقيماً لا معوجاً. وإذا كنت تكتب في أثناء القراءة وجب أن يكون رأسك معتدلاً مائلاً إلى الأمام قليلاً، وصدرك بعيداً عن حافة مكتبك وفخذاك أفقيين. هذا مع وجوب وضع الكتاب أو الكراسة التي تقرأ منها وضعاً معتدلاً بحيث تواجهك، لكي يستريح جسمك ويستقيم ظهرك، ولكي تأخذ أضلاعك حريتها في الحركة والنماء. أما إذا كانت جلستك منحنية فإنك بذلك تتعب عينيك وتقوس ظهرك وتشوه صدرك.

دعني أسألك وأقول، هل تمسك بهذا الكتاب التي تطالعه الآن بطريقة صحية مريحة للعين؟ إنه لكي يكون كذلك يجب أن يكون هذا الكتاب على بعد ربع متر تقريباً من عينك. هذا إذا كان نظرك عادياً.

أما إذا زادت المسافة عن ذلك فإن المطالعة تكون مجهدة للعين وعضلات الرقبة على السواء.

ومهما تكن منهمكاً في القراءة أو الكتابة، ينبغي أن تريح عينيك دقيقة أو دقيقتين كل نصف ساعة، ويستحسن أن تنهض من مكانك وتسير قليلاً. وذلك لأن الجلوس طويلاً من غير تحريك الرقبة والذراعين والساقين بين حين وحين، يؤدي إلى تصلب العضلات وإرهاق العينين واضطراب الدورة الدموية.

وإذا لم يكن بد من القراءة، وأنت مستلق على ظهرك في فراش نومك، فأحذر أن تجعل الكتاب فوق مستوى عينيك، فأحسن وضع له عندئذ أن يكون في مستوى النظر أو تحته.

وإذا أهمل القارئ، عامل الإضاءة الصحية في أثناء القراءة أو الكتابة فإنه يحمل جهازه البصري إجهاداً لا مبرر له، فضلاً عن أنه يقلل من القدرة على متابعة القراءة. وقد يكون لإجهاد العين الناشئ عن سوء الإضاءة أعراض أخرى كالصداع وكثرة الدموع واحمرار العين. من هنا نشأت أهمية الإضاءة وتوزيع الضوء في أثناء القراءة.

قد لا يعرف بعض الطلبة لماذا إذا شرعوا في القراءة ليلاً غلبهم النعاس. وكثيرون من أولياء الأمور لا يدركون سر ضعف مداومة الأبناء على القراءة ليلاً. وسر ذلك كامن من غير شك في سوء توزيع الإضاءة.

قد يكون الضوء كافياً، وفوق الكفاية، ولكنه في وضع خاطئ بالنسبة للقارئ أو الكاتب ، ولهذا يجب الامتناع عن تركيز الضوء على صفحات الكتاب، بينما تبقى بقية الغرفة ضعيفة الإضاءة. إن في ذلك إرهاق العين التي تنتقل من آن إلى آخر، من ضوء ضعيف إلى ضوء قوي، ومن ضوء قوي إلى ضوء ضعيف، الأمر الذي يجهد أعصاب العين بلا مبرر.

ومما ينبغي مراعاته أيضاً جعل مصدر الضوء فوق مستوى كتفك وإلى الخلف قليلاً، حتى يصبح انعكاس الضوء من صفحة الكتاب بعيداً عن عينيك. ولكي تتحقق من ذلك عليك أن تجري اختبار المرآة لمعرفة الوضع الصحيح لمصدر الضوء.

قد تتساءل عن هذا الاختبار فأقول:

عليك أن تستعمل مرآة صغيرة ، تضعها على صفحة الكتاب الذي تقرأ فيه بحيث يكون وجهها إلى أعلى، ثم تحرك المرآة على جميع مواضع صفحة هذا الكتاب، فإذا رأيت صورة مصدر الضوء في هذا المرآة في أي وضع من أوضاعها، فإن مصدر الضوء يكون عندئذ في وضع غير صحي، ويجب تغييره لكي تختفي صورته تماماً من المرآة في أي وضع من أوضاعها.

وينبغي أيضاً ألا يكون مصدر الضوء عارياً، فينشأ عنه (زغللة)

دائمة للعين. وهذا أمر يمكن تجنبه باختيار مصابيح من النوع (المصنفر) أو من النوع المحاط بزجاج مصنفر.

وقد تعود متسائلاً عن الجهة التي تضع فيها المصباح فأجيبك بأنه لا فرق بين وضع المصباح إلى اليمين أو إلى اليسار، ما دمت تقرأ من غير أن تكتب. أما إذا كنت تكتب في أثناء القراءة فيجب وضع المصباح جهة اليسار، لتجنب ظلال اليد والقلم.

الفصل الرابع

القراءة والذاكرة

العقل مخزن به آلاف الحقائق والتجارب والملاحظات جاءت إليه عن طريق القراءة أو عن طريق التأمل والمشاهدة وما تذكر هذه الحقائق إلا ظاهرة البحث بين محتويات هذا المخزن الفكري عن الحقائق والأفكار التي تنشدها. فإذا سألك سائل عن الطاقة الذرية فإنك تبحث في ذاكرتك لحظة ثم تجيب على هذا السؤال، ولكن إذا ما سألك عن رأيك في الطاقة الذرية وهل تعود على الإنسانية بالنفع أو بالضرر، فإنك تختار مما هو مدخر في ذاكرتك من صور وحقائق ما تستطيع بعد مزجه وتفاعله أن تخلق منه رأياً وفكرة تصوغها إجابة لهذا السؤال. إن كلا الجوابين وليد الذاكرة، ولكن الجواب الأول هو مجرد ذكر حقائق مخزنة. أما الجواب الثاني فهو عملية استعراض فكري لحقائق مختزنة واختيار ما هو مناسب منها. وفي كلتا الحالين تلعب الذاكرة دورها الهام.

وإذا كان في استطاعتنا أن نتذكر ونجيب وقت ما يطلب منا الإجابة فنحن أذكياء سعداء بذاكرتنا، وإذا لم نستطع ذلك وخانت ذاكرتنا فنحن في قليل أو كثير في إفلاس فكري.

فإذا سأل القارئ نفسه، هل تستطيع ذاكرتي أن تختزن كل ما أقرأ وكل ما أسمع، بحيث يكون ذلك رهن إشارتي وطوع أمري، وكان جوابه على ذلك بالإيجاب فهو ذو موهبة ممتازة لأن أعمالنا كماً ونوعاً تتأثر من قريب أو من بعيد برصيدنا الفكري المدخر الذي نستطيع أن نتذكره في سهولة ويسر.

وتتم ظاهرة التذكر في أربع مراحل الأولى: معرفة الحقائق والأشياء والثانية: فترة اختزان الحقائق والصور في العقل الباطن، والمرحلة الثالثة: هي استعادة هذه الحقائق والمادة الفكرية التي اكتسبناها بالقراءة أو بغيرها، والمرحلة الرابعة والأخيرة هي مرحلة إدراك صحة أو خطأ ما تذكرناه.

وقبل أن نفكر في تقوية الذاكرة ينبغي أن نكشف أولاً عن نوع هذه الذاكرة. فالذاكرة واحدة من ثلاثة: ذاكرة مبصرة وهي التي يتذكر صاحبها الأشياء التي يراها، وذاكرة حافظة وهي التي يتذكر صاحبها الأصوات التي يسمعها بسهولة أكثر ولمدة أطول، وذاكرة مسجلة للحركة وهي التي يتذكر صاحبها الحركات التي تتضمن الكتابة أو العزف.

وصاحب الذاكرة المبصرة يختزن الكلمات والجمل المطبوعة التي يراها بعينيه، ويتذكرها في سهولة ويسر وبغير عناء موضع فقرة من الفقرات تدور حول فكرة أدبية أو حقيقة علمية معينة، حتى ليستطيع

أن يحدد مكانها من الصفحة، وما اقترن بها من صور ورسوم توضيحية.

وصاحب هذه الذاكرة إذا شاهد "فيلماً" علق بذهنه المناظر والحوادث التي عرضت على "الشاشة". أما الحوار والمناقشات فتصيبه منها قليل. وهو يخالف في ذلك صاحب الذاكرة السمعية الذي يذهب إلى الخيالة فيعرف دقائق "الفيلم" من حوار وموسيقى وألحان عن طريق سمعه. وفي وسعه أن يعيد نفس الجمل التي سمعها واسترعت انتباهه، ولكنه قد يعجز عن وصف المناظر والممثلين وتتابع الحوادث.

أما صاحب الذاكرة المسجلة للحركات فإن كل ما يكتبه أو يفعله يثبت في ذهنه أكثر من الأشياء المرئية أو المسموعة.

ومهما فتشت بين الأفراد فلن تجد واحداً يعتمد على بصره أو سمعه أو حركاته اعتماداً كلياً، فذاكرة كل واحد منا مزيج من هذه الذاكرات الثلاثة، ولكن واحدة منها تكون صاحبة السيادة بينها. ويرى كثيرون من علماء علم النفس أن ٧٥٪ من الناس أصحاب ذاكرة بصرية.

وخير لأصحاب الذاكرة البصرية أن يكونوا قراء كتب وصحف، ولكنهم يفيدون أكثر، لو قرؤوا بصوت مرتفع، ثم سجلوا خلاصة لما قرؤوا، لأنهم في هذه الحال يشركون بقية الحواس في تقوية لقراءتهم الأساسية.

وخير لأصحاب الذاكرة السمعية أن يواظبوا على حضور المحاضرات. ويحسنون صنعاً لو مزجوا سماع المحاضرات بتدوين مذكرات في أثناء الإصغاء.

أما أصحاب الذاكرة المسجلة للحركات فخير لهم أن يكثروا من كتابة الموضوعات والقصائد التي يريدون تذكرها.

والانتباه هو تركيز الفكر والحوادث في شيء معين تركيزاً كاملاً، فمثلاً إذا كنت تقرأ في القطار موضوعاً ركزت فيه كل انتباهك، فإن حواسك تنصرف إلى هذه الناحية حتى أنك لا تسمع ضجيج القطار ولا الأحاديث العالية التي يتبادلها الركاب، وأكثر من هذا فإنك لا تحس بآلام القدم من حذاء بلغ غاية في الضيق. ولعل هذا كله راجع إلى تركيز الذهن في شيء معين.

وليس تركيز الذهن بالشيء القليل الأهمية بل هو من أسرار عبقرية المفكرين، فقد بلغت مقدرة تركيز الذهن عند المؤرخ الإنجليزي اللورد ماكولي حداً كبيراً، فقد بلغ به الحال أنه كان يمشي في شوارع لندن الغاصة ومعه كتاب يقرأ فيه. وكان يستطيع بعد أن يقرأه في هذا الجو الصاخب أن يتلوه عن ظهر قلب. ويروي عن الأستاذ يوشع رويس أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد، أنه كان واقفاً في المطر المنهمر في ساحة الجامعة وليس معه مظلة ولا عليه معطف، وهو يبحث موضوعاً من الموضوعات مع طالب يرتدي ثياب خفيفة ويحاول أن يفر

من أمامه فلا يستطيع إلى ذلك سبيلا. ولم يكن الأستاذ رويس يدري أو يدرك أن السماء تمطر ولكن من شاهدوه لم يعلقوا على الموقف إلا أن رويس لم يبلغ الذروة في ميدانه الفكري إلا بفضل تركيز ذهنه في موضوع معين، في وقت معين.

ومثل ذلك مثل أشعة الشمس عندما تركز وتجمع في نقطة معينة على ورقة لا تلبث بعدها أن تحترق. فكما ينشأ من تركيز هذه الأشعة في بقعة معينة على الورقة طاقة حرارية، كذلك ينشأ من تركيز الذهن في موضوع معين طاقة فكرية كامنة خاضعة لإرادتنا في سهولة ويسر.

من هذا يمكن القول أن الانتباه الزائد وما يتبعه من تركيز الفكر والحواس هو ينبوع للذاكرة القوية. فما على القارئ. إذن إلا أن يتذكر على الدوام أن العقل يمكن أن يمده بالمعرفة التي غذَّاه بها، بشرط أن يكون قد حصل على هذه المعرفة وهو مركز لقوي فكره إليها بالانتباه الشديد.

ومما يزيد من قدرتنا على التذكر ربط الأفكار بعضها ببعض، وإلا أصبحت الذاكرة كسلة المهملات، تنثر فيها الحقائق والأشياء انتثاراً يصعب علينا معه استخراج ما نشاء منها من غير تعب أو عناء. فإذا أردت أن تذكر شيئاً اجعله مرتبطاً بشيء آخر يسهل عندك تذكره، فعليك أن تربط الجديد من الأفكار والصور والحقائق مما سبق أن استقر منها في الذهن . فهذا أمر يعمل على رسوخها فيه من جهة،

ويساعد على استخراج ما كمن من الذكريات والحقائق السابقة من جهة أخرى. وحتى إذا فشلت في إيجاد نوع من الارتباط بين الحقائق الجديدة وبين الحقائق التي في متناول الذاكرة، فإن مجرد محاولتك هذه تكون سبباً في رسوخ هذا الشيء وتذكره.

ولإيضاح نظرية الارتباط وأثرها في التذكر نضرب مثالاً: رجل تذكر قبل دخوله فراش النوم أن عليه أمراً يجب أن يؤديه بعد القيام من النوم مباشرة. ماذا يعمل ليتذكر ذلك؟

إنه يستطيع كما قلت أن يربط هذا الأمر الذي يبغي تذكره بحقيقة يتذكرها في سهولة، فيستطيع مثلاً أن يربط نعليه ببعضهما، فإذا استيقظ في الصباح وأراد أن يضع قدميه في نعليه وجدهما مربوطين فيتذكر عندئذ الأمر الذي دفعه إلى ذلك وما يتبعه من أفكار أخرى.

والتكرار من أقدم الوسائل التي اتخذتها بعض المدارس لعلاج النسيان، وبهذه الوسيلة تعلمنا جدول الضرب وحفظنا الأناشيد، ومازالت الأشياء التي كنا نكررها أيام دراستنا الابتدائية والثانوية راسخة في أذهاننا حتى اليوم. ويرى الدكتور "دونالد ليرد" أن ما يزول من الذاكرة بعد انقضاء يوم تقريباً، يمكن أن يثبت فيها مدة تقرب من أسبوعين، إذا نحن أعدنا قراءته مرتين أو ثلاث مرات.

ونتساءل الآن هل ينبغي لنا أن نحاول استظهار الدرس أو

الموضوع أو القصيدة في جلسة واحدة متصلة، أم نجعل ذلك على دفعات متفرقة متباعدة؟

لقد بحث الدكتور هوارد فليب هذه الناحية وقال: "وإذا كان لدينا قطعة يستغرق استظهارها ثماني ساعات ، فمن الأفضل أن نوزع هذه الساعات، فتقضي مثلاً في استظهارها ساعة كل يوم، بدلاً من أن نقضي الساعات الثمانية كلها دفعة واحدة"

ومراجعة كتاب بعد قراءته للمرة الأولى يزيد في مقدرة حفظنا له وتذكرنا لحقائقه ودقائقه، ولهذا كان للمراجعات الدورية أهمية فائقة لطلبة المعاهد والجامعات، بعد أن لاحظوا بأنفسهم أن المواد التي تراجع عدة مرات يسهل تذكرها.

ولكي نصور أهمية المراجعة نلخص تجربة أجريت على طلبة الجامعات الأمريكية.

لقد اختبرت فرق مختلفة فيما درسوه، وكان ذلك في نهاية المقرر، فوجد أنهم يتذكرون ثلاثة أرباع ما درسوه، وفي آخر العام اختبروا مرة أخرى، دون تحضير أو إعداد، ولكنهم في هذه المرة تذكروا أقل من نصف الموضوعات المقررة ، ثم اختبروا بعد عامين بالطريقة نفسها ولم يتذكروا أكثر من ربع هذه الموضوعات. وهذا دليل قوي على أهمية المراجعة للذاكرة.

وكما أن المراجعة مهمة في قراءة الكتب مهمة أيضاً في سماع المحاضرات، وهذا ما أيده الدكتور "هوارد" بقوله : لقد ألقيت عدة محاضرات من غير أن أعقبها في النهاية بمراجعة عامة، ثم امتحنت الطلاب في هذه المحاضرات وفجأة، بعد ثمانية أسابيع من وقت إلقائها، فوجدت أنهم لا يستطيعون أن يتذكروا منها أكثر من ربع أو ثلث ما ذكرته، ولكن عندما أعقبت هذه المحاضرات بمراجعات عامة تستغرق خمس دقائق استطاع الطلبة، بعد نفس المدة المذكورة، أن يتذكروا نصف ما ذكرته في محاضراتي.

الحالة النفسية والصحية وعلاقتها بالذاكرة

ويجب ألا يفوتنا أن نذكر أن الخوف والاضطرابات الانفعالية تعد من العقبات التي تعترض التذكر وتفسد عمل الذاكرة، فكم من محاضر أعد سلسلة أفكاره في عبارات منتقاة وأسلوب رائع، قبل أن يبدأ في إلقائها، ولكنه عندما يقف ويواجه الطلبة أو الجماهير يبدد الخوف والاضطراب كل ما أعده من تنظيم وترتيب. وإذا ما انتهى من إلقاء موضوعه أدرك بأنه لم يرتجل أجزاء من محاضرته أو خطبته بالدقة والعناية التي كان قد أعدها من قبل.

لهذا كان التحرر من الخوف والانفعالات في طليعة العوامل التي تساعد ذاكرة المحاضر أو الخطيب على أداء مهمتها على خير وجه:

والذاكرة القوية تتطلب بلا شك صحة البدن، وتتوقف درجة التقاطها واحتفاظها بالحقائق على راحة الجسم. لذلك يخطئ الطلبة خطأ فاحشاً في السهر إلى ساعات متأخرة من الليل، وهم يستذكرون دروسهم، فقد دل الاختبار على أن ما يحصلونه في أثناء هذه الليالي، وهم متعبون، يتبدد سريعاً ولا يستقر في أذهانهم إلا لفترة قصيرة.

الفصل الخامس

القراءة.. هواية جديرة بالعناية والرعاية

لا نستطيع أن نكون بوضعنا الحاضر من الشعوب المحبة للقراءة والتواقة لها، ولا أدل على ذلك من أن عدد السكان يزيد على عشرين مليوناً ولا يطبع من كتاب عام أكثر من أربعة آلاف نسخة تباع في بضع سنين.

لا أنكر أن الكتب المدرسية يطبع منها عدد كبير وتنال بعض الرواج، ولكن فاتنا أن نذكر أن أغلب هذه الكتب المدرسية لا تشترى حباً في القراءة ذاتها وما فيها من متعة ذهنية، بل تشترى في أغلب الأحيان لقضاء مرحلة دراسية، حتى إذا ما انتهت هذه المرحلة ألقى الطالب كتبه إلى عالم النسيان، واكتفي بقراءة الصحف والمجلات والقصص. أما الكتب العلمية والأدبية الدسمة فهي على هامش تفكيره، بل لا أكون مغالي إذا قلت أن هناك من ينفر من قراءة كتب علمية أو فنية تتصل اتصالاً وثيقاً بفنه وعمله.

السبب واضح كل الوضوح، وهو أن المدرسة والبيت لم يتعاونا على خلق الميل إلى القراءة وغرس هوايتها في نفوس الطلبة، فالقراءة عادة وهواية إذا مارسوها تأصلت فيهم ونمت معهم. وهي مثل كل

عادة ينبغي غرسها من الصغر ورعايتها من البداية وموالاتها بالتكرار. والسعيد الحظ هو الذي ينشأ محباً للقراءة، ومثل هذا الطالب لن يقنع بالأوقات المخصصة بالمطالعة في مكتبة المدرسة، بل يستسلم لهذا الشغف الروحي كلما وجد من وقته فراغاً. وكثيراً ما يخلق هذا الوقت خلقاً.

ويستطع الإنسان من تلقاء نفسه، أن يكون على اتصال دائم بتطورات العلم والمعرفة في مختلف أرجائها وآفاقها، متى أحب القراءة وشغف بها. فإديسون العالم الطبيعي الذي لم يدخل مدرسة أو جامعة، قد علم نفسه بنفسه عن طريق ولعه بالقراءة. ونراه في مذكراته يعترف ويقول:

"لم أتلق علوماً رياضية على يد مدرس، ولم أدخل مدرسة ثانوية أو جامعة إطلاقاً، ولكني تعلمت ما تعلمته عن طريق المطالعة وحدها"

وفي موضع آخر يصف نوع الكتب التي كان يحبها فيقول: "من الكتب التي وجهتني إلى نوع المواد التي كنت أفضلها على سواها مجلد عنوانه "تشريح الملانخوليا" لمؤلفه "برتون" وهو كتاب بالغ حد الصعوبة، وقلما يستسيغه شاب صغير مثلي. ولكن الصعوبة التي لاقيتها في قراءته علمتني الشغف بالمؤلفات الدسمة، فلم أجد بعد ذلك لذة في الكتب الهزيلة والمؤلفات العجاف. فلا غرابة إذا كان أول كتاب قرأته بعد ذلك كتاب المبادئ لمؤلفه العالم الكبير "إسحاق نيوتن".

هذا مثل من أمثلة عديدة لعلماء وعباقرة زودوا أنفسهم بالعلم والمعرفة، لا عن طريق المدارس والجامعات، بل عن طريق حب القراءة الحرة المتصلة.

ولعل إيمان لجنة التعليم العام فضل القراءة الحرة هو الذي دفعها إلى أن تسجل في تقريرها في عام ١٩٤٧ العبارة التالية: "يجب أن تشجع التلاميذ على القراءة الحرة، فتخصص في خطة الدراسة أوقات للقراءة في مكتبة المدرسة تحت إشراف مدرسي المواد المختلفة، لتوجيه الطلبة إلى الانتفاع بهذه القراءة إلى أقصى حد"

وهناك ناحية أخرى على جانب كبير من الأهمية لتنمية حب القراءة عند الصغار، وهي حسن اختيار الكتب الصالحة. فلو اختير للطالب في مستهل عهده بالقراءة الحرة كتب لا تغرس فيه حب القراءة والشوق إليها، كان من الصعب إذا كبر أن يستبدل بكراهيته الأولى لها حباً جديداً بعد ذلك.

والآن ننتقل إلى مكتبة المدرسة ومكتبة البيت لنوضح كيف تحقق هذه المكتبات رسالتها في غرس هواية القراءة وتنميتها.

لا ننكر أن في كل مدرسة ثانوية أو ابتدائية مكتبة أو نواة لمكتبة، تشتري لها الكتب والمجلات والصحف، ولكن هذه المطبوعات لا تكاد تصل إلى المدرسة حتى يستلمها المشرف على هذه المكتبة، فيسجلها

في دفاتره، ثم يغلق عليها. هذا ما يحدث في كثير من مدارسنا. أما التلاميذ الذي من أجلهم أنشئت المكتبة فلا يعلمون عن وجودها شيئاً. هذا فضلاً عن سوء اختيار موضع المكتبة. ففي غالب الأحيان تختار في مكان قصي، وقد يكون رديء التهوية والإضاءة، فهي في نظر كثير من المشرفين مخزناً ومستودعاً للكتب. وإذا تركنا هذه الناحية لنستعرض عمل المشرف على هذه المكتبة المدرسية وجدناه في الغالب يشكو من الشكوى، فقد جمع بين دروسه الكثيرة والعمل في هذه المكتبة، الأمر الذي يجعله ينظر إلى المكتبة كعمل ثانوي، وأن كل ما عليه هو أن يدون الكتب الجديدة في دفاترها ويضعها في أماكنها ويحافظ عليها من الضياع. أما عدد القراء فهذا شيء لا يدخل في شئون عمله كما يظن. ولهذا وجب على ناظر المدرسة أن يعمل على تفرغ المشرف، ليصرف كل جهده ووقته فيها فينظمها ويضع لها الفهارس. ويرتب أوقات الزيارة وطرق الإعارة، وليكون لديه متسعاً من الوقت ليعد نشرات دورية تعلق في لوحة الإعلانات عن الكتب الجديدة الواردة إلى مكتبته. أما أن تأتي الكتب، وتقبر في أصونة المكتبة، فهذا وأد للعلم والمعرفة والمواهب الكامنة في الشباب.

وعلى الناظر أيضاً أن يختار لمكتبة مدرسته مكاناً جيد التهوية حسن الإضاءة، حتى يغري التلاميذ على مواظبة الحضور والبقاء فيها أطول مدة.

ومن الأمور التي يحسن تقليدها بقاء المكتبات المدرسية مفتوحة في أثناء العطلة الصيفية، ليأخذ الطالب منها الكتب التي يريد قراءتها، لأن في عطلة الصيف فرصة أوسع للاطلاع والقراءة الحرة أكثر مما في أيام الدراسة العادية. أما أن تقفل مكتبات المدرسة بانتهاء العام الدراسي فهذا أمر يجب الإقلاع عنه كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ومتى فعلنا كل ذلك استطاعت مكتبة المدرسة أن تغري التلاميذ بالقراءة إغراء متجدداً، تصبح القراءة بفضله عادة مكتسبة، لا يبغي عنها حولا.

وكما أطالب مكتبة المدرسة بغرس هواية القراءة الحرة وتنميتها عند الشباب، أطالب بها البيت أيضاً. فالبيت يجب أن يتعاون مع المدرسة في هذا الصدد تعاوناً جديا منتجاً، لأن المدرسة وحدها لا تستطيع أن تفعل كل شيء، ولا ينبغي أن نلقي عليها تبعة كل شيء. لهذا كان من أوجب الأمور أن تكون في بيوتنا ما نسميه "مكتبة البيت". نضع فيها قصصاً تلائم أعمار الشباب وكتباً تناسب ميولهم واستعداداتهم، مع مجموعة من كتب التاريخ والدين والأدب والرحلات تكمل هذه المكتبة.

وليس من الضروري أن تكون مكتبة البيت كبيرة، وفيرة الكتب، بل المهم في الأمر وجودها أولاً، وحسن اختيار كتبها القليلة ثانياً، فمتى توفر ذلك استطاع الشباب أن يجد شيئاً يقضي به أوقات فراغه،

فتصبح القراءة أمراً مألوفاً مع الأيام. ومن يدري فقد تصبح عندهم ضرورة من ضرورات الحياة.

وإذا تحقق ذلك صانته القراءة عن صحبة الأشرار وممارسة أرذل العادات.

ومن العوامل التي تساعد على تنمية عادة حب القراءة وهوايتها إنشاء ما يعرف بمكتبات الحدائق، فكثيراً ما نرى بعض الأفراد جالسين في ظلال الأشجار يطالعون في كتب حملوها معهم، فجو الحدائق يشجع على القراءة بلا شك، حيث الطبيعة هادئة خلابة، تسر النفس وتدفع العقل إلى التأمل والتفكير. لهذا اسأل قائلاً لماذا لا نقيم في بعض حدائقنا العامة مكتبات صغيرة؟ فمن الناس من ينفر من حمل الكتب أو ينسى إحضارها معه، ولكنه متى وجدها في متناول يده في الحديقة عاد حنينه إلى قراءتها.

وما يقال عن مكتبات الحدائق العامة يقال عن مكتبات الشواطئ.

ومن الوسائل التي لجأ إليها الغربيون لتقوية الميل إلى القراءة، إيجاد نوع من المكتبات يعرف عندهم بالمكتبات المتنقلة، فتمر سيارات كبيرة مملوءة بالكتب والصحف على الأحياء المختلفة والقرى المجاورة، في مواعيد منظمة، وبذلك يتيسر لأهل الحي أو القرية قراءة بعض الكتب أو استعارتها دون عناء.

بقي علينا أن نصور الدور الذي يمكن أن تقوم به المكتبات العامة لإغراء المواطنين بالقراءة النافعة المتصلة، ولكي نصور هذا الدور الهام ما علينا إلا أن نستعرض ما فعلته المكتبات العامة الأمريكية في هذا المضمار، عسى أن ينفعنا أو نتخذ منه ملهماً ومرشداً.

فعندما يولد طفل في كثير من الولايات الأمريكية يبلغ الطبيب المولد إحدى المكتبات القريبة نبأ مولده وهذه ترسل إلى الوالدة بمجموعة من الكتب والرسائل الخاصة بتربية الرضيع حتى يقرأها الوالدان ويعملا بما فيها من إرشادات.

في الولايات المتحدة ٢٤ مكتبة خاصة بالعميان. وكل ما فيها من مجلدات طبع على طريقة براي. و قد زودت كل هذه المكتبات بما يسمى "الكتاب المتكلم" وهو مؤلف من "فنوغراف كهربي وراديوفون". وصنعت مئات الأقراص التي تحوي قصصاً قصيرة وطويلة. ويمكن الأعمى بذلك أن يستمع لإذاعات الراديوفون في إحدى هذه المكتبات أو "القصص الفوتوغرافية".

زودت كثير من المكتبات بغرفة رحبة للكتابة وضعت فيها الأوراق والظروف والمحابر والأقلام، وذلك لجذب أفراد الجمهور الذين يحتاجون لكتابة خطاباتهم.

في سير نجفيلد مكتبة عمدت إلى تشجيع الدراسة الموسيقية بإيجاد

ألفي قرص فنوغرافي للألحان والأغاني المشهورة. وهي تعيرها للمترددين على المكتبة كما تعير الكتب.

وفي ميسولا حيث تضرب الخيام للعمال الذين يشتغلون بقطع الخشب من الغابات تجول سيارة كبيرة تحمل الكتب المختلفة لإعارتها لهؤلاء العمال.

في "سيتل" مكتبة عامة جعلت من عادتها أن تحصل على أسماء الأجانب الذين يدخلون في الرعوية الأمريكية. وهي توفد مندوبها إلى كل واحد منهم، فيقدم له بعض المؤلفات في لغته الأصلية مع بعض الكتب التي يستطيع أن يتعلم منها اللغة الإنجليزية.

ومما ابتدعته مكتبة بورتلاند أنها تعير الصور الكبيرة الزيتية والمائية للمنازل كما تعير الكتب، ويجوز لربة البيت إبقاء الصورة شهراً أو أكثر. هذه صورة من الجهود التي تقدمها المكتبات العامة لتجذب إليها القراء وتزيد من روادها الذين يعتادون القراءة تدريجياً وتصبح في النهاية عادة متأصلة في نفوسهم.

ومتى استطعنا أن نغرس في الجماهير حب القراءة وهوايتها أمكننا أن نتركهم بعد ذلك، ونحن على ثقة من أنهم سيقرءون في لهفة وشوق، وولع زائد ومن غير انقطاع.

ولكي نصور ولع بعض الناس بالقراءة وهوايتهم لها نسرد فيما يلي

بعض نوادرهم. يحمل التاريخ في طياته الكثير عن ولع الناس بقراءة الكتب ولهم في ذلك نوادر كثيرة، فنسمع عن الفتح بن خاقان أنه كان يحضر في مجلس المتوكل، فإذا ما قام لحاجة، أخرج ابن خاقان كتاباً من كمه، وراح يقرأ فيه حتى يعود إليه المتوكل، فهو يأبى أن تذهب الدقائق المعدودات سدى من غير قراءة.

ونسمع عن أبي داود السبحستاني مؤلف السنن أنه كان يعمد إلى جعل كم عباءته كبيراً يتسع لاصطحاب كتاب معه.

ونسمع عن إسحاق الموصلي المغني المشهور أنه أخذ معه في رحلة ثمانية عشر صندوقاً ملآى بالكتب، وقال لولا أنه رغب في أن يكون خفيف الحمل في سفره لأخذ معه ضعفي تلك الكمية من الكتب.

وكان المؤرخ مسكويه مديراً لمكتبة الوزير أبي الفضل، وفي ذات يوم ثار الجنود ونهبوا منزل الوزير فلما انصرف إلى منزله ليلاً لم يجد فيه ما يجلس عليه، ولكن باله لم يقلق إلا على كتبه.

فلما رأى مسكويه قال له:

"ماذا حل بكتبي"

فقال له مسكويه:

"بحالها كما هي لم تمسها يده"

فابتسم الوزير وقال:

"أشهد أنك ميمون النقيبة، أما سائر الخزائن فيوجد منها عوض، وهذه الخزانة لا عوض منها"

ثم أشار بنقلها إلى مكان آخر مأمون.

وقد عشق الجاحظ الكتب إلى حد كبير، حتى أنه كان يضع المجلدات قائمة في صفوف حوله، تحيط به من كل ناحية، حتى أن وفاته كما روي كانت لها صلة بهذا الولع الزائد بالكتب والبقاء بينها، إذا سقطت عليه فقتلته.

ولا يفوتني أن أسرد ما تحكي عن شغف مُحَمَّد علي باشا بالمعرفة بالرغم من ضيق وقته، لقد كان له مساعدون يلخصون له الكتب ويترجمونها ويقررونها في حضرته. وذات مرة أتاه بعضهم بكتاب ضخم، فأمر أحد مساعديه بترجمته في بضعة أيام فاعتذر لضخامة الكتاب. فما كان من مُحَمَّد علي مدفوعاً بشوقه إلى المعرفة إلا أن نادى آخرين أثنين من العلماء ومزق الكتاب ثلاث قطع، أعطى كلاً منها الواحد وقال: الآن أستطيع أن أقرأ الكتاب في أقرب فرصة.

وكان نابليون يحب القراءة حباً جماً، ولقد استحوذ عليه هذا النوع من الحب إلى آخر لحظة من لحظات حياته. وفي مذكراته بقلم الكونتس سانفيتال ابنة ماري لويس. نرى أن نابليون كان مصاباً بجشع

ذهني، فكان يطلب باستمرار كتباً جديدة، باذلاً قصارى جهده في الوقوف على ما كانت تخرجه المطابع في عصره.

فأصغر كاتب على شيء من النبوغ كان معروفاً عنده، وأي مقال ممتاز في الاجتماع والأدب كان يطالعه مع التعليق عليه.

أما ولعه بقراءة القصص كان لا يقف عند حد. ولما كان يسافر لاحقاً بجيشه كان يكدس القصص في مركبته وينكب على قراءتها في أوقات فراغه، ثم يلقي بها الواحدة بعد الأخرى من نافذة العربة، فيجمعها أفراد الحاشية ويحتفظون بها كتراث من يد نابليون.

ولقد شغف لنكولن بالقراءة في سنوات شبابه إلى حد أنه إذا سمع بوجود كتاب عند أحد الناس ذهب لقراءته، حتى قيل أنه قرأ كل الكتب الموجودة في دائرة خمسين ميلاً حول قريته.

هل للكتب والصحف والمذياع مناطق نفوذ؟

أولاً - الكتب والصحف

لم يكن للصحف، كمصدر أخبار وأنباء، منافس أو مزاحم أو منازع ولكن النزاع والمنافسة الفكرية التي قامت بين الكتب والصحف، نشأت من إدعاء كل منهما بأنه مصدر ثقافة لطبقات المجتمع كله. والحقيقة أن الكتب استأثرت بالطبقة المثقفة ثقافة عالية، والصحف استحوذت على الطبقة التي كان حظها من الثقافة قليل.

وبين هاتين الطبقتين طبقة ثالثة متوسطة الثقافة، مازالت موضع نزاع ومنافسة الكتب والصحف حتى الآن.

لقد استطاعت الكتب أن تستأثر بالطبقة الممتازة بثقافتها علو فكرها، لأن الصحف لا تقدم في العادة إلا نتفاً بسيطاً من العلوم والآداب، لا تغني ولا تشبع العقول التي تعودت البحث في الأعماق. ولهذا رحبت تلك الطبقة بالكتب وسلطانها، لأنها وجدت فيها البحث الأدبي العميق والنظريات العلمية مؤيدة بالدليل والبرهان. وبالجملة وجدت فيها كل ما يحقق نزعاتها ويشبع رغباتها.

واستطاعت الصحف أن تستحوذ على الطبقة المثقفة ثقافة قليلة بما قدمته لها من مادة مبسطة شبه مهضومة، تلائم مقدرتها الذهنية على الفهم والإدراك، في حين أن ما تقدمه الكتب من نظريات وتحليلات فلسفية عميقة وآراء فقهية دقيقة يعد مادة عسرة الهضم تافهة المذاق، عند أناس ارتضوا لأنفسهم مراحل الثقافة الأولى.

وبين هاتين الطبقتين، طبقة ثالثة متوسطة في درجة ثقافتها، هي موضع النزاع بين الصحف والكتب. ولن ينتهي هذا النزاع عند حد مادامت هذه الطبقة نفسها ترحب بهذا حيناً وبذاك حيناً آخر.

وهذا النزاع الطويل بين هاتين القوتين المتنافستين أدى إلى أن الكتب تترك برجها العاجي قليلاً، وتنزل بعض الشيء من سماء

ارستقراطيتها لتكسب الموقف وتزداد أنصاراً. وراحت الصحف حباً في إشباع رغبات قرائها، تخصص بعض صفحاتها للثقافات المختلفة من أدب وعلم واقتصاد وقانون وزراعة. والحق أن مثل هذه المنافسة وهذا النزاع يؤدي إلى تقارب الطبقات تقارباً فكرياً له مزايا في مجتمعنا الحديث.

ثانياً - الكتب والمذياع

في جامعة برنستون بأمريكا مدرسة تعني بدراسة الموضوعات العامة والأمور الدولية. وقد قامت هذه المدرسة ببحث واسع للمقارنة بين أثر الإذاعة وأثر القراءة فتوصلت إلى النتائج التالية:

أولاً: إن عدد المستمعين للمذياع كبير جداً فإن تسعاً من كل عشر أسر يقتنون جهازا استقبال. وبذلك تمكن المذياع في أقل من عشرين سنة أن يبلغ المكانة التي توصلت إليها الطباعة بعد خمسمائة سنة.

ثانياً: هناك فرق بين طائفة القراء وطائفة المستمعين. لقد وجد أنه كلما قل دخل الأسرة أو انحطت ثقافتها وتربيتها كان ميلها إلى الاستماع إلى المذياع أكثر من ميلها إلى القراءة.

ثالثاً: ووجد من هذه الدراسة أيضاً أن المذياع يشجع القراء على شراء الصحف واقتناء الكتب. فإن الذين يستمعون إلى الأخبار والسياسة والأحاديث الثقافية ينتهي بهم الحال في الغالب إلى الاستزادة مما يسمعون بالقراءة في الصحف والكتب. ولقد وجد أيضاً

أن حديث الكتب في المذياع يزيد حركة البيع والإعارة من المكتبات.

رابعاً: ووجد أيضاً أن جمهور القراء، وهو من الطبقة المثقفة، يؤثرون القراءة على الاستماع، لأن القارئ يمكنه أن يتمهل ويراجع ما يستحق المراجعة، وهذا لا يتيسر عند الاستماع إلى المذياع.

وقد توصلوا في النهاية إلى أنه لن يخشى من أثر الإذاعة على القراءة فالإذاعة لن تقلل عدد القراء بل تدفعهم إلى الزيادة.

وبوجه عام يمكن القول أن المذياع من أعظم الوسائل لتثقيف الأميين وأنصاف المتعلمين الذين لا يجدون الوسيلة المادية أو المنبهات الثقافية للقراءة، ولكن بالنسبة للمثقفين فإن المذياع يزيد الميل إلى القراءة عندهم ويفتح أمامهم آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من قبل.

كيف تستذكر دروسك وتستعد للامتحان؟

قبل أن تبدأ استذكار دروسك اعمل على التخلص من العوامل المقلقة والمعطلة عن مواصلة الدرس والتفرغ له، واعمل على حسن اختيار مكان الاستذكار وخلوه من الضجيج والألوان البراقة والصور المثيرة.

ولتكن غرفة استذكارك مضاءة ومدفأة ومهواة بطريقة صحية، فيجب ألا يلمع الضوء مباشرة في عينيك، وكذلك يتعين عليك اجتناب الانعكاس الوهاج من صفحات كتابك أو مذكراتك.

ونظم مقعدك في أثناء القراءة لكي تتجنب توتر الأعصاب، وغير وضعك من وقت إلى آخر، ولكن تجنب أن تطلق لراحتك العنان، فن المتعذر أن تستذكر بشغف واهتمام عندما تضطجع في مقعد وثير، أو تتمدد في استرخاء فوق فراش ناعم مريح.

وإذا كان لديك بعض الهموم والمشاكل الخاصة فواجهها واعمل على حلها والتخلص منها في أقرب وقت مستطاع، فكثيراً ما يكون الهم والمشاكل الشخصية أسباباً رئيسي للدراسة غير المجدية، وكثيراً ما تؤدي إلى شرود الذهن.

وعند قراءة موضوع ما عليك أن تربط بين جميع أجزائه وفقراته، حتى تستطيع أن تأخذ صورة كاملة له، وأعلم أن الحقائق والأفكار التي لا اتصال بينها، لا تفيد إفادة كافية في معرفة أهداف المؤلف ومراميه، فكثيراً ما يكون القارئ على إلمام بالنقاط الفرعية، ولكنه لا يستطيع أن يربط بينهما ويؤلف منها وحدة كاملة واضحة الأهداف والمعالم.

وهذا ما دفع برس **Prof Pressy** إلى أن يقول: إذا لاحظ القارئ بعض الطلبة الضعاف منهم والممتازين، أدرك أن الممتازين يتخذون طريقة من الطرق تجعل الموضوع وحدة كاملة متماسكة الأجزاء، بينما يضيع المتخلفون معظم وقتهم في التفصيلات دون اهتمام بربطها بهيكلها العام وهدفها الرئيسي.

وعندما تقرأ محاضرة جديدة اقرأها بسرعة في البداية، كي تحصل على نظرة عاجلة، عن مجموعها. حاول أن تلم إلماماً عاماً بفكرة الموضوع كله. لاحظ الأماكن التي تقدم فيها النقط الرئيسية. أو حيث تلخص الأفكار ذات الأهمية الخاصة والأفكار الثانوية.

بعد ذلك عليك أن تقرأ مقطوعتك مرة ثانية ببطء وتمعن وتفكر أكثر من ذي قبل عندئذ تجد أن التفصيلات أوضح معنى وأكثر هضماً بسبب النظرة العامة السريعة السابقة. ضع أمامك وجهة النظر الرئيسية ولاحظ كل النقط الثانوية من حيث علاقتها بهذه الفكرة الرئيسية. وعندئذ تجد أجزاء القراءة التي كانت تبدو مبهمة وصعبة تصبح واضحة من نفسها.

قد تبدو قراءتك للدرس مرتين غير ضرورية ومضيعة للوقت والحقيقة أنها ليست كذلك، فستجد مع الوقت أنها لا تؤدي إلى حذق أكبر لعلومك فحسب، بل تؤدي أيضاً إلى توفير الوقت بجانب ذلك.

وينبغي عليك أن تقرر الوقت اللازم لاستذكار كل مادة على حدة، فكثيراً ما ندفع نحو استذكار مواد معينة وإهمال مواد أخرى فتكون النتيجة الفشل وخيبة الأمل ... وعليك أن ترسم كل يوم النظام الذي ستتبعه في استذكارك والوقت المحدد له.

ضع لنفسك برنامجاً، خاصاً تسير عليه، حتى تتحرر من الارتجال

والفوضى في استذكارك ..

وفي الجدول التالي صورة للتنظيم والترتيب المطلوبين، يمكنك أن تسير عليه كما هو، أو بعد تعديله التعديل المناسب لحياتك الدراسية الخاصة.

ساعة الاستيقاظ ..... ساعة النوم ...... التاريخ ......

الساعة		وجهة النشاط	ملاحظات
من	إلى	ومواد الاستذكار	

عدد ساعات النوم .....

عدد ساعات النزهة، والرياضة والراحة .....

عدد ساعات العمل أو الواجبات المنزلية .....

عدد الساعات المستنفذة في الأكل .....

عدد ساعات حجرة الدراسة أو المحاضرة .....

عدد ساعات الاستذكار .....

عدد الساعات المقضية في أوجه النشاط الأخرى .....

وفي أثناء الاستذكار ينبغي أن تكون مستيقظ الحواس، ومركزاً ذهنك فيما تقرأ، من غير أن تتأثر بالمؤثرات المحيطة بك، ولا تستجيب إلا للصفحة التي أمامك، تسبح معها كيفها شاءت في رحلة الفكر والخيال.

وتركيز الذهن معناه القدرة التي تملي على العقل واجبه وتكفل طاعته. وهذه القدرة تكسب بالمران والصبر، فإذا استطاع الطالب أن يرد عقله مرة بعد أخرى إلى الموضوع الذي يستذكره، فإن الخواطر الطارئة التي تتنازعه لا تلبث أن تعود من حيث أتت. وتكرار ذلك والمثابرة عليه يصبح تركيز الذهن عادة من عاداته المألوفة.

ويجب أن نثق بذاكرتنا، فكثيراً ما ينشأ النسيان عن وهم أو توتر في الأعصاب. ونحن إذا حكمنا من البداية بضعف الذاكرة، وجدنا أن حكمنا هذا صادق في أغلب الأحيان، وعلى العكس من ذلك إذا كانت ذاكرتنا موضع ثقتنا.

فعندما نثق بذاكرتنا ونؤمن بقوتها، تتركز طاقتنا الفكرية كلها في المهمة التي بين أيدينا، أما إذا خامرنا الشك توزعت هذه الطاقة وتبددت، وفقدنا الكثير من قوتها. فالثقة بالذاكرة إذن أول مراتب التذكر ومعالجة النسيان.

ولكي تتذكر ما قرأ تقف من حين إلى آخر بضع لحظات، تقضيها

في ترجيع الأفكار التي قرأتها، بعد أن تضع الكتاب جانباً. وإذا خانتك ذاكرتك في تذكر بعض الفقرات عد إلى مواضعها في كتابك. ثم جرب ترجيع الموضوع بأكمله من جديد، وإذا كانت المعلومات غير متسلسلة تسلسلاً منطقياً، فابحث لها عن روابط من صنعك تعينك على التذكر دون عناء.

والذاكرة القوية تحتاج غالباً إلى صحة البدن. وتتوقف درجة التقاطها للأشياء على راحة الجسم. لذلك يخطئ الطلبة خطأ فاحشاً في السهر إلى ساعات متأخرة من الليل وهم يستذكرون دروسهم، فقد دل الاختبار على أن ما يحصلونه في غضون هذه الليالي، وهم متعبون، يتبخر سريعاً ولا يستقر في أذهانهم إلا لفترة قصيرة.

فإذا كان هذا الإفراط في الاستذكار، عادة ثابتة لا يقلع المرء عنها، أصبح الجهاز الإنساني كله متعباً على الدوام، وحتى في صباح اليوم الجديد لن يشعر المرء بنشاط وراحة حقيقية. وهكذا تصبح نتائج الاستذكار مدعاة للاستياء وخيبة الأمل، بالرغم من الساعات الطويلة التي قضاها الطالب في الاستذكار، فعلى الطالب إذن أن يتجنب الإجهاد والتعب، فساعات العمل القليلة المنظمة كفيلة بانجاز أمور كثيرة.

وفي أثناء القراءة سجل الفكرة الرئيسية لكل فقرة من فقرات الموضوع، وميز النقاط الهامة كلما مرت بك بأن ترسم إلى جانبها

خطاً. فإذا كانت الفقرة هامة فوق العادة فارسم إلى جانبها خطاً مزدوجاً. أشر إلى النقاط التي لم تفهمها أو النقاط التي ترجوا أن تتعمق فيها وتتوسع في بحثها بعلامة استفهام. وعندما يكون الكتاب الذي تقرأ فيه ملكاً لسواك فاكتب ملاحظاتك في مفكرة خاصة.

وعندما تتم قراءة كل فقرة أو قطعة لخص الفكرة الرئيسية ببضع جمل نثبتها في الهوامش. سجل كذلك كل ما يخطر ببالك من الأسئلة، والنقاط التي يختلف رأيك فيها عن رأي المؤلف. وليس من شك في أن ذلك سيضطرك إلى التفكير وإلى اقتناص النقاط الأساسية وسيساعدك في أوقات المراجعة والامتحان.

ومما يعينك على مراجعة محاضرتك وضع هيكل تخطيطي لها في أثناء سماعك لها تشمل النقط الرئيسية وما يتفرع عنها من نقاط ثانوية، مع مراعاة الترتيب العلمي والتسلسل المنطقي.

وقد تكون بعض الموضوعات الدراسية طريفة شائقة، بينما يكون البعض الآخر جامداً جافاً غير مقبول، فالموضوعات الأولى لا تحتاج إلى استذكار كثير، على نقيض الحال في الموضوعات الأخرى.

ولا مفر في كثير من الأحيان من استذكار هذه الموضوعات الجافة الجامدة لأداء امتحان معين أو اجتياز مرحلة معينة.

في هذه الحال ينبغي عليك أن تقدر الأمور وتفكر في الفائدة

المنتظرة, وأذكر دائماً أنك لا تستطيع أن تقطف الورود من غير أن يؤلمك شوكها .. ولا تستطيع تذوق الشهد من غير أن يلسعك نحله.

ومما يعينك على تحقيق ذلك إتباع التوجيهات التالية.

أولاً: ضع في ذهنك علاقة هذه الموضوعات الجافة بأهدافك ومطامحك ومستقبلك، وفكر جيداً أن فشلك في استذكار هذه الموضوعات سيكون عائقاً في تحقيق آمالك ومطامحك.

ثانياً: ابدأ قراءة هذه الموضوعات الجافة مرة بعد مرة، ولا تتردد، وابعد عن ذاكرتك شبح العقبات الخيالية والواقعية التي تعترض سبيلك. ومتى شرعت في العمل وسرت في طريقك تحسنت الأمور من تلقاء ذاتها مع رغبتك وعزيمتك القوية.

ويتساءل الطلبة كثيراً "هل ينبغي لنا أن نحاول استظهار المادة الطويلة في جلسة واحدة متصلة، أم تفعل ذلك على مرات متفرقة متباعدة؟ ويتساءلون أيضاً:

أي الطريقتين أكثر توفيراً للوقت؟

لقد أثبتت التجارب العديدة أن تعدد القراءات والفصل بينهما أكثر اقتصاداً للوقت. فإذا كان لدينا قطعه يستغرق استظهارها خمس ساعات فمن الأفضل أن توزع هذه الساعات، فتقضي مثلاً في استظهارها ساعة كل يوم، بدلاً من أن تقضي الساعات الخمسة في يوم واحد.

وإذا قرأنا كتاباً أدركنا أننا إذا راجعناه مراجعة سريعة بعد قراءته الأولى زاد تذكرنا له زيادة عظيمة. وقد أجرى اختبار لذلك فيما يتعلق بالمحاضرات، فقد ألقيت محاضرة ولم يعقبها تلخيص أو مراجعة بعد إلقائها. وبعد ثمانية أسابيع، امتحن الطلبة الذين ألقيت عليهم المحاضرة، فوجد أنهم لا يستطيعون أن يتذكروا سوى ٢٤ في المائة مما قيل في هذه المحاضرة.

ولكن عندما ألقيت المحاضرة ثم أعقبها تلخيص لها استغرق خمس دقائق، استطاع الطلبة بعد ثمانية أسابيع، أن يتذكروا أكثر مما تذكروه في المرة السابقة بخمسين في المائة.

هذه التجربة توضح لنا أن المحاضرات التي تنتهي بتلخيص أو مراجعة قصيرة أسهل استذكار وأكثر تعلقاً بالذاكرة.

وقبل أن تدخل قاعة الامتحان عليك أن تتبع التوجيهات التالية:

فكر في نوع الأسئلة التي يحتمل أن تسأل فيها، وفكر كيف تجيب عنها. وما هي الأسئلة التي كنت تلقيها إذا كنت تعطي الامتحانات لغيرك؟ وما هي الأسئلة التي يتوقعها إخوانك الطلبة؟

اقرأ مجموعة أسئلة الامتحانات بأجمعها، وفكر في كل واحدة منها مدة طويلة بحيث تتفهمها. وقد تساعدك آراؤك عن سؤال ما على إجابة سؤال آخر، ويجب أن تكسب أيضاً فكرة عن الوقت الذي

تبذله في كل سؤال. فالقدرة على رسم أجوبتك وتنظيم الوقت لكل الأسئلة ليست أقل أهمية من القدرة على إجابة الأسئلة منفصلة. وكن متأكد من أنك تتبع التعليمات العامة التي تلازم الامتحان كله.

ويجب عليك أن تتجنب الإجهاد الشديد والسهر الطويل ليلة الامتحان، فإن الإسراف في المراجعة يؤدي عكس المقصود فكثيراً ما يؤدي إلى اختلاط الذهن وتشوش المخ.

ومتى دخلت قاعة الامتحان عليك أن تتبع التوجيهات التالية:

أولاً: أقرأ ورقة أسئلتك كلها، ولاحظ ما إذا كانت مطبوعة من الجانبين أو مكتوبة من ورقتين منفصلتين.

ثانياً: ضع خطة عامة للأمن الذي تستطيع أن تخصصه لكل من الأسئلة التي تريد الإجابة عليها.

ثالثاً: إذا قامت الأسئلة على الاختيار، فاختر منها تلك التي تثق تماماً من أنك تعرف جوابها الصحيح.

رابعاً: لكل سؤال نقطة مقصودة تدور حولها الإجابة. هذه النقطة يجب أن تكشفها وتدركها قبل أن تحاول الإجابة، وبعد ذلك ضع في ذهنك هيكلاً لهذه الإجابة مع مراعاة التسلسل العلمي والمنطقي.

خامساً: أعد قراءة كل سؤال عقب فراغك من إجابته.

الفهرس